مذكرات الرئيس العراقي

عبد السلام عارف

(١٩٦٣ - ١٩٦٦)

سطور
للنشر والتوزيع

مذكرات الرئيس العراقي
عبد السلام عارف
(١٩٦٣ - ١٩٦٦)

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى- سنة 2022
ISBN: 978-9922-628-45-5

لايسمح بإعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الالكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والنشر على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الكاتب.

المواد المنشورة تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر عن رأي الدار.

دار سطور للنشر والتوزيع
بغداد شارع المتنبي مدخل جديد حسن باشا
هاتف: 07711002790 - 07700492567
Email: bal_alame@yahoo.com

SUMER
Printing, Publishing & Distribution
LUXEMBOURG - 2-c Crauthemerstrooss - L-3334 HELLANGE
+352 671531017

مذكرات الرئيس العراقي

عبد السلام عارف

(١٩٦٣ - ١٩٦٦)

سطور
للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى البطل عبد الرحمن محمد عارف

خير خلف لخير سلف

إلى أرواح كل الشهداء الأبرار الذين سقطوا دفاعا

عن عروبتنا وقوميتنا

إلى كل المناضلين من أجل غدٍ أفضل لأمتنا

من المحيط إلى الخليج

نهدي مذكرات البطل العربي الشهيد الرئيس

الراحل عبد السلام محمد عارف لتكون

نبراسا للجميع

مقدمة

يصدر هذا الكتاب بعد مرور عام على استشـهاد الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف الذي صنع جزءاً من تاريخ أمتنا العربية.

ونحـن في هـذه الفترة التي تتصـارع فيها القـوى ويناضل الثوار مـن أجـل قوميتهم ووحدتهـم لا بدَّ لنا أن نسـجل تلـك الفترة التي كان للرئيس الراحل شرف النضال خلالها حتى يتسـنى لنا أن نحدد طبيعة المهمة التي تواجهنا.

لقـد كان أول لقـاء لي مـع الشـهيد عبد السـلام محمـد عارف في فبراير (شباط) ١٩٦٢ بعد أن خرج من سجنه، وفيْ لقائنا دار حديث طويل.. حديث ذكريات السجن والثورة..

وقال الشهيد:

- لقـد كنـت أكتب بعض الملحوظات في السـجن وأرجو أن يأتي الوقت لأكتب كل شيء بالتفصيل.

ومرَّ عام.. وقامت ثورة ٨ فبراير (شباط) ١٩٦٣..

وسألت الشهيد:

- ألن تنشر مذكراتك عن فترة الثورة وفترة السجن؟.

فقال:

- ليس ذلك الوقت المناسب..

ودار الزمـن دورته.. وانتدبت للعمل في العراق.. وكانت فرصة لمزيـد من اللقاءات.. وفي خلال هذه الفترة وقبلها كان الشـهيد يملي عليّ أجزاءً من مذكراته التي كان يحب أن يسميها دائماً... «ذكريات»..

وإلى جانـب ما أملاه عليَّ أطلعني على ما يكتبه في السـجن، حتى رأيته في القاهرة في أثناء انعقاد القيادة السياسية الموحدة..

فقال لي:

- لقد حان الوقـت لإعادة النظر في (الذكريات).. وحان الوقت أيضـاً لنشرها.. لذلك أقترح أن تحضر إلى العراق وتجلس مع عبد الله شريف والدكتور بديع شريف ليمدَّاك بما تحتاجه من وثائق..

وفي شـهر مـارس (آذار) الماضي سـافرت إلى بغـداد.. واتصلت بالشـهيد عبد الله مجيد سكرتير عام رئاسـة الجمهورية.. وبحثنا عقد اجتـماع لتنقيـح المذكرات واسـتكمالها.. وتركنا الأمـر إلى ما بعد عيد الأضحى..

وخـلال هـذه الفـترة كان الرئيـس الراحـل قـد أبلغ المسـؤولين بالقصر الجمهوري للاستعداد للبدء في إخراج المذكرات عقب رحلة البصرة.. وإعداد الوثائق..

و.. قبل أن تنتهي رحلة البصرة.. كانت يد القدر قد أختطفت البطل..

وبعـد أن أُعلِـنَ انتخاب الرئيس عبد الرحمن محمد عارف رئيسـاً للجمهوريـة ذهبت إليه في مكتبـه، ورميت له كل التفاصيل.. ثم بدأ

تجميع الوثائق والأوراق الخاصة للشهيد.

ورغم تعدد وكثرة الأوراق التي كتب عليها الشهيد عبد السلام محمد عارف ملحوظاته وأفكاره إلا أن الذي اكتشف منها لا يُعد سجلا كاملا مفصلا.. ولا هو بالمذكرات المفصلة المرتبة..

ولكنها- إلى جانب مصادر أخرى- أكملت الأجزاء التي كان الرئيس الراحل قد أملاها عليَّ.. وجعلت منها سجلا لذكرياته.. ومذكراته، ننشرها ضمن الخطوط العريضة التي رسمها الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف.

علي منير

الفصل الأول

- نشأتي.
- عندما حوكمت عام ١٩٤٤.. ساورني الشك في أن قاسمًا وشى بي!.
- كان من الصعب عليَّ أن أرى بلادي يحكمها الجنرال سميث.
- أول منظمة سرية للضباط أنشأناها منذ ٢٠ عاماً في البصرة.

في يـوم ٢١ آذار (مـارس) عـام ١٩٢١.. كان مولـدي.. فتحت عينيَّ على الحياة في محلة سوق حمادة؛ وهي منطقة متواضعة في منطقة الكرخ ببغداد. والدي هو الحاج محمد عارف البزاز.

ولقـد كان لعائلتـي جهادهـا في ماضيهـا وحاضرهـا.. فقد غدر الإنجليز بعمي السـيد عباس وقتلوه في الرمـادي.. وانتقم الإنجليز لمقتـل (لجمن البريطاني) من خالي المرحوم ضـاري شر انتقام وذهب شهيداً لوطنه في جنات الخلد..

منذ أن وعيت الحياة درسـت الكثير.. وكافحت بشرف مذ كنت تلميذاً صغيراً.. فلم أكن سليل عائلة عريقة الثراء.. لكنني كنت فرداً في أسرة كبيرة يرعاها والدي الحاج محمد عارف بجهده وعرقه..

وقد كان والدي- رحمه الله- مثلي الأعلى..

لقـد علمني والـدي الكثير في حياتي.. علمنـي الصبر.. وعلمني إيـماني بالله.. ووضـع في قلبي بذور الشـجاعة.. لم يكـن الحاج محمد عارف.. مجرد والد لي، فقد كنت أعتبره أباً ومعلماً ورائدا..

إن منزلتـه في قلبـي تأتي بعد منزلة الله سـبحانه وتعالى.. فله أدين بكل ما أحرزته في حياتي.. لم يدخر أبي وسعا في تعليمي.. فقد درست بالمدارس الابتدائية والثانوية وتخرجت فيها عام ١٩٣٨.

وفي هـذا العـام بدأت مرحلـة جديدة في حيـاتي.. دخلت الكلية العسكرية التي كان لي ميل فطري للالتحاق بها.. وتخرجت في الكلية العسكرية.. وعُمري لا يتعدى العشرين عاما..

تخرجت لانضم إلى صفوف الجيش العامل برتبة ملازم ثانٍ.. ضابط من بين مئات الضباط الذين فرض عليهم أن يكونوا مجرد تشريفات.. وفي هذه الفترة بلغ قيد الحريات مداه.

كانت البلاد تعيش في ظل حكم إرهابي وأحكام عرفية متواصلة حتى إذا ما جاءت الحرب العالمية الثانية وجد الشعب العراقي نفسه يقاد رغم إرادته للاشتراك في حرب لا مصلحة له فيها..

وفي هذا الوقت.. كان عميل الاستعمار نوري السعيد على رأس الحكم.. وكانت أول مهماته وضع الجيش تحت تصرف بريطانيا والاستسلام لكل رغباتها الاقتصادية والسياسية.. وبدأ بأعلان الأحكام العرفية..

ثم فتح باب الامتيازات لبريطانيا لإعادة احتلال العراق احتلالا عسكريًا وفقا لاتفاقية ١٩٣٠.. ووافق نوري السعيد على أن تتحرك قوات الجيش العراقي إلى البلقان لمنع الجيوش الأجنبية من الاقتراب من المستعمرات البريطانية واحتلالها..

كنا في ذلك الوقت نتصيد الأخبار.. ونبحث عما يدور خلف الجدران.. فقد كنا نحس أن مؤامرة كبيرة على وشك الوقوع.. وذات ليلة جاءني أحد زملائي يحمل لي أخبارا جديدة.

لقد جمع نوري السعيد مجلس الدفاع الأعلى وطلب منه الموافقة على إرسال قوات الجيش العراقي لتحارب مع القوات البريطانية

خـارج العـراق.. وطلـب نوري السـعيد مـن المجلس أيـة مبررات يستطيع أن يواجه بها الموقف..

وكانـت الأزمة.. فلم يكن في قيادة الجيـش مغرور تبلغ به الخيانة حد تبرير هذه المؤامرة.. وكان رد نوري السـعيد تجميد مجلس الدفاع الأعلى.. وكانت ثورة عارمة تغلي في صدورنا نحن الضباط..

فقـد اسـتهان المجرم نوري السـعيد بـكل شيء.. وكان لا بدَّ من أن يحـدث شيء ما يوقف جنـون هذا الرجل الأرعن.. وجاءت نهاية شـهر نيسـان (أبريل) ١٩٤١ تحمل هذا الشيء. حمل الجيش سـلاحه ليثأر لكرامته وكرامة وطنه وشعبه قبل أن يسحقه الخونة..

وقبـل الثورة بأيـام قليلة كانت هناك همسـات خافتة تدور حول عمـل ما سـيقوم به الجيش لاسـترداد كرامتـه.. وكان علينا أن ندعم هذا العمل.. وفي يوم الثورة كان لي شرف الاشتراك في جانب منها- طبقا لتعليـمات تلقيتها- وكنت آنذاك آمراً لرعيل المدرعات في القوة الآلية..

وكانـت مهمتي محاصرة القصور الملكية.. ولم تنجح الثورة.. وإذا وقفنا اليوم لنبحث أسباب فشلها لوجدنا عدة أسباب...

فثـورة ١٩٤١ كانـت لها أسـباب قائمـة، والدوافـع كانت ملحة والاسـتعداد كـما كنـا نعلـم كان مسـتمرا منـذ وقت طويـل. ولكن سـاعة الصفر فرضت فرضا كنتيجة مباشرة لاسـتفزازات الحاكمين واستسلامهم لسياسة الحرب البريطانية دون بحث فائدة العراق من

وراء هذه الحرب ودون الحصول على أية مكاسب وطنية أو قومية.

وقد كانت مطالب العراق في هذه الآونة متعددة ولكن أولها يتعلق بالمعاهدة العراقية البريطانية التي أجمع الشعب على مقاومتها، كذلك إزالة القواعد البريطانية من العراق، إذ أن استمرار وجودها كان مهانة شديدة للعراق وشعب العراق وجيش العراق..

وقد فشلت الثورة أيضا لأنها لم تأخذ في حسابها عوامل كثيرة.. فقد نزلت الضربة كلها في بغداد دون تنسيق.. كذلك استطاع نوري السعيد أن يعود من الأردن مع قوات بريطانية..

وقامت على الفور القاعدتان البريطانيتان في الحبانية والشعيبة بطلب النجدة الجوية من الأردن والخليج العربي لإخماد ثورة الجيش.. كما أن لترك الخونة والعملاء الذين وضعهم نوري السعيد في كل المراكز الحساسة أثره على الثورة..

فقد أعلنوا منذ لحظات الثورة الأولى مقاومتهم لها. ومساندتهم لأسيادهم.. وكنا نحن الضباط الشبان نقف بعد الثورة نتساءل..

ما هو المصير؟..

كان السؤال يلح علينا وتفرضه ظروف عصيبة مرت على بغداد مصدر الثورة والانتفاضة..

وشهدت بغداد خلال هذه الفترة أحلك أيامها.. أقيمت المشانق للثوار واستقبلت السجون والمعتقلات المئات من الأحرار.. وتسلم

المستعمرون زمام الأمور وأصبح الأمر والنهي بأيدي بيللي وهملي والجنرال سميث..

وتشرد العشرات والمئات من الضباط على أيدي الطغمة الحاكمة.. وخرجت قوائم تشريد الضباط من وزارة الدفاع إلى الشمال وبعضهم إلى الجنوب والبعض إلى المعتقلات.

وفي خلال هذه الفترة عينت مسؤولا عن حراسة سجن معسكر الرشيد الذي زُج فيه المئات من الوطنيين وأبطال الثورة.. وكان قائدي وقتئذ محمود الهندي.. وكنت أحس يومها أنه لا بدَّ من أن أفي دينا لهؤلاء الأبطال وإن كانت الثورة قد أخفقت إلا أن دورهم لم ينتهِ..

وفي غفلة من زملائي.. وعن طريق علاقاتي الشخصية بأسَرِ المعتقلين استطعت أن أكون همزة الوصل بينهم.. وكنت أدبر للمعتقلين لقاءات ليلية مع ذويهم.. ومن داخل السجن كنت أنقل الرسائل التي يطلب مني توصيلها..

ويبدو أن البعض أحس بما يدور.. فقد فوجئت بنقلي من بغداد إلى مدينة البصرة. وفي البصرة، وفي عام ١٩٤٢ بدأت مرحلة جديدة من الكفاح. كنا في ذلك الوقت نرى الأهوال تحيد بالعراق.. والمصير المظلم يخيم على البلاد ولا منقذ سوى الجيش.

وذات ليلة كان يزورني بعض زملائي في مسكني، وكان الحديث الطبيعي المتداول بيننا هو الحالة التي وصل إليها العراق على أيدي الخونة.. وكان السؤال الدائم ليلتها..

ما هو الحل؟.

وعندما خرج أصدقائي من الضباط لم أنم، كنت ما زلت أفكر في الحل..

هل يمكن أن يكون الاغتيال؟..

وإذا كان ذلك هو الأسلوب المطلوب..

مَنْ هم الأشخاص المطلوب اغتيالهم.. هل هو نوري السعيد وطغمته؟.

لقد أخفقت ثورة ١٩٤١ لأنها لم تضع في اعتبارها القوى التي يستند عليها هذا العميل.. ومن خلال أفكاري التي كانت تتصارع معي تلك الليلة خرجت بقرار.. كان ظني أنه سيكون المخرج الوحيد من الأزمة.

إن أي ثورة لا بدَّ من الإعداد لها إعدادا دقيقا.. ولا بدَّ أن يسبقها تهيئة كاملة وتنظيم للقوى، سواء داخل الجيش أو بين صفوف المدنيين.. وهذا في حد ذاته يستلزم قيام منظمة سرية تأخذ على عاتقها مهمة الإعداد للثورة..

كيف يمكن اختيار أعضاء هذه المنظمة؟

كيف يمكن أن نضمن سلامتها؟

هذا هو الذي كان يشغلني طوال الفترة التي مرّت قبل أن نفاتح بها أحدا..

لقد كان عملاء نوري السعيد ينتشرون بين الضباط وبين صفوف الشعب.. وكانت عيونهم مسلطة على كل وطني يجهر بوطنيته.. ولا بدَّ أن يكون الاختيار لهذه المنظمة سليما ومن بين المجموعة الموثوق بها..

وفعلا تم تشكيل المنظمة السرية وقمنا بوضع أهداف المنظمة وتتلخص في:-

* تخليص البلاد من حكم الطغاة.

* إزالة القواعد البريطانية.

* تطهير البلاد من الأذناب وعملاء الاستعمار.

* إعطاء الفرصة للشعب ليحكم نفسه بنفسه.

وبدأنا نصدر المنشورات.. وكان توزيعها يتم ليلا وفي سرية تامة على أماكن تجمع الضباط.. وعن طريق البريد..

وكنّا نضطر أحيانا أن يقوم أحدنا بالسفر إلى بغداد أو العمارة أو أية منطقة أخرى في العراق لنقوم بإرسال المنشورات من هناك عن طريق البريد حتى لا يعرف نوري السعيد وعملاؤه المصدر الحقيقي الذي تخرج منه هذه المنشورات..

في هذا الوقت كان عبد الكريم قاسم مع وحداتنا في البصرة.. وكنا نلتقي معا ونتحدث عن المصير الذي ينتظر العراق.. وكان قاسم يحاول أن يبدي استياءه من الأوضاع الموجودة، ولكنه لم يكن صريحا،

فقد كان فيما يبدو يخشى من آمر اللواء الذي كان على خلاف معه..

واستمرت لقاءاتي مع قاسم نحو عامين.. فقد نُقل إلى جلولاء..

وعقب نقل قاسم.. فوجئت بإحالتي إلى المحاكمة، وكانت محاكمتي على يد اللواء الركن بهاء الدين نوري.. وكانت المحاكمة تدور حول اتهامي بالاشتراك في منظمة سرية لقلب نظام الحكم..

ويومها داخلني الشك في أن يكون عبد الكريم قاسم قد وشى بي.. ولكنني استبعدت ذلك في حينه، فقد كان قاسم يبدي لي المودة.. ولم يكن قد ظهر بعد بصورته السافرة..

وكانت النتيجة أن نُقلت من البصرة بعد أن قضيت فيها عامين إلى منطقة الناصرية كعقاب لي بعد أن أخفقوا في الإمساك بدليل واحد ضدي.

وتمضي الأيام.. وعملاء نوري السعيد يمارسون ضغطهم.. ويحاولون باستمرار كبت القوى الثائرة في الجيش وتتكرر المحاولات.. ولكنها جميعاً تذهب بالفشل.. وتبقى عيوننا نحن الضباط مفتوحة ترقب الموقف بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية.

لقد جاءت فترة ما بعد الحرب بأحداث كثيرة جعلت نقمة الجيش تزداد.. معاهدات جديدة تفرض على العراق.. ومزيد من القيود تكبل بها الحركة الوطنية، حتى التكتل الذي استطاعت أن تحرزه المنظمات والأحزاب استطاعت قوى الرجعية أن تفتّته وأن تحوّل الأحزاب السياسية إلى أحزاب مصلحية ذات ارتباطات..

ولقد بدأت في هذه الفترة عن طريق العملاء تغذية النعرات الطائفية.. وخلق روح التفرقة العنصرية.. وأهمال مناطق معينة أهمالا مقصودا لتغذية هذه التفرقة.

وجاءت معاهدة بورتسميث التي قررها نوري السعيد من قبل كسِتار يشغل الشعب عن قضية فلسطين.. فالمعاهدة في غاية الخطورة بالنسبة للعراق.. وفي الوقت نفسه لا يستطيع الشعب العراقي أن ينسى دوره من أجل تحرير فلسطين.

وأذكر أنه عندما أعلن أن صالح جبر رئيس الوزراء الذي سافر إلى لندن لتوقيع الاتفاقية.. عندما أعلن أن التوقيع قد تم.. قامت ثورة الشعب الأعزل..

لقد كانت ثورة عارمة لم يستطع أعداء الشعب أن يقفوا في وجهها رغم النيران التي أطلقت على صدور الرجال العُزَّل..

وفي مواجهة هذا المد الشعبي استطاع الشعب أن يملي إرادته.. وأعلن عبد الإله سقوط معاهدة بورتسميث بناءً على إرادة الشعب..

وجاءت حرب فلسطين. وصدرت الأوامر بالتحرك إلى الأراضي الفلسطينية.. وكنت يومها ضابط ركن الفوج الثاني اللواء الرابع..

عندما وصلت المواقع أحسست أن بعض الفتور ينتاب الضباط والجنود، فقد كان إحساسهم أنهم يدخلون معركة لا بدَّ أن تكون قوتهم فيها أكبر وأكثر فاعلية ولكنني قلت لهم:

- إننا مع الحق.. والله سينصرنا. (إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ).

كنت أحاول أن أبث فيهم ما يرفع معنوياتهم ويؤهلهم للمعركة القادمة. ودبّ النشاط في الفوج واستطعنا احتلال بعض المواقع. ورغم أن الخطط العامة للمعركة التي وضعت من قبل القيادة العربية خطط غير منظمة عسكريًا..

فقد كانت تفصل القوات المقاتلة عوائق منعت اتصالها من أجل التنسيق فيما بينها، فالجيش السوري كان يقاتل في سبخ جنوب طبرية، ونحن نقاتل في جيشر، ويفصلنا نهران ولم يكن هناك أي طريق للتعاون والتنسيق.

على عكس المفروض من أن تكون الجيوش متقاربة وفي حالة تسمح لها بإسناد بعضها البعض.. وقد كتبنا أكثر من مرة إلى قيادتنا نحاول أن ننبهها إلى الأخطاء التي ترتكبها، إلا أنه كانت البرقيات التي تجيء لنا في كل مرة:

- ((طبقوا الأوامر.. تعليماتنا تؤدي إلى النصر..)).

وكنا فوق هضبة تشرف على جنين.. وكنت أصلي الظهر في أحد الأيام عندما جاءني أحد الضباط من أصدقائي يحكي لي عن المأزق الذي زج فوجُه فيه بأوامر القيادة. وأذكر أنني قلت له يومها:

- ((إن معركتنا معهم ستكون قريبة)).

وتركني الضابط وعلى وجهه لمحت ألمًا. فقد كان يرى زملاءه

يتناثرون أشلاء بفضل خطط القيادة، في اليوم نفسه.. جاءتنا أخبار الهجوم الإسرائيلي الغادر على الجيش المصري في الفالوجة، وسمعنا عن الدور البطولي الذي أبداه الجيش المصري في هذه المعركة..

وفي المساء جمعت أفراد فوجي.. وقلت لهم إن الغدر الذي تعرض له أشقاؤنا المصريون في الفالوجة يؤكد أن أوكار الخيانة واحدة.. وأن علينا دورا لا بدَّ أن نؤديه ولا بدَّ من الحرص على مواقعنا، لأن في ذلك تدعيما لبسالة الجيش المصري وتدعيما لكياننا الواحد..

كانت فترة عصيبة تلك التي قضيناها على سفوح وهضاب فلسطين.. لقد كنا نقاتل بكل قوتنا. وأوكار الخيانة ترسم الموقف كما يحلو للمستعمرين.. وفعلا كما أراد المستعمرون فعلوا..

فقد وصلت القوات العراقية الأوامر بتسليم مواقعها، ولم أكن بين القوات العراقية التي سلمت المواقع، ولكنني سمعت أخبارها من زملائي الذين عادوا إلى بغداد في حزيران (يونيو).

لقد تركت مكاني في جنين وعدت إلى بغداد بعد أن رشحت لكلية أركان حرب والتحقت بها.. وبعد تخرجي في كلية الأركان عُدت إلى صفوف الجيش لأجد التذمر كما هو.. واجتماعات الضباط تتزايد وحديثهم عن العمل الجدي يكثر.

وفي عام ١٩٥٢ تردد أن هناك نواة لتنظيم سري في الجيش.. إلا أن السلطات استطاعت أن تضع يدها على ضباط قالت إنهم أعضاء في التنظيم.

وبينما بغداد تسرف في أغلال العبودية يحكمها الطامعون والرجعية وأذيالها، إذا بصوت الثورة يأتي من القاهرة، وقد كنا نتابع كل التفاصيل يوما بيوم..

وفي أعقاب الأيام الأولى للثورة المصرية أحسسنا أن نشاطا زائدا يدور في بغداد، وأن مزيدا من الاعتقالات تتم داخل صفوف الجيش وبين المواطنين.. كان ذلك رد فعل مباشر للخوف الذي انتاب الخونة..

خوفهم من أن ينهاروا كما أنهارَ قصر فاروق الطاغية وحول ثورة مصر.. كانت تدور معظم مناقشاتنا في نادي ضباط الجيش.. ترى في هذه الثورة عملا رائدا لا بدَّ أن يحتذى به لاقتلاع جذور الفساد من الوطن العربي..

وإن كان اليوم قد مرت سنوات على ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢. إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكر دورها الطليعي في المنطقة العربية. وكما قلت لكثيرين ممن سألوني رأيي في عبد الناصر:

- إنه في رأيي أروع دلالات الإنسانية وأذكاها.. إنه دليل في طريق انتصار الخير والصدق

والشرف.. وقد كانت ثورة ٢٣ يوليو (تموز) التي قادها هي البذرة الطيبة التي تنمو وتعطي ثمارها للجميع..

لقد كانت ثورة ٢٣ يوليو (تموز) مصباحا أضاء الطريق أمام الشعب العربي. لقد نادى عبد الناصر نداءً ثوريًّا يوم ٢٣ يوليو

(تمـوز)، فـإذا بكل الأحـرار يجاوبونـه، ولقد كانـت اليقظـة العربية جمـرات تتوهج، فأنار عبد الناصر شـعلتها.. حتى أصبحت في قلب كل عـربي ينبض بـدم العروبـة والإسـلام.. وفي رأيـي أن إيمان عبد النـاصر بالقومية أيـمان راسـخ.. وإن إيمانه بوحدة الثـورة في الوطن العـربي إيمان صـادق.. إنه يؤمن- وهـذا ما آمنا به جميعـا- بأن قوتنا تنبـع مـن قوميتنـا، ولا بدَّ أن يأتي اليـوم الذي ترفع فيـه راية العروبة والإسلام.. راية الوحدة فوق وطن عربي واحد..

لقد كان لثورة عبد الناصر الأثر الكبير الذي أضاف إلى إصرارنا إصرارا عـلى مواجهـة كل التحديـات التي يفرضها علينا الاسـتعمار وأعوانه.

وفي عام ١٩٥٢ بالذات كانت بداية العمل الجدي.. لقد وجدت مـا كنـت أفكر فيـه يعتمـل في نفوس زملاء لي أحسـوا بالمأسـاة التي يعشـها العراق، وأدركوا المسـؤولية الكبرى التـي تفرضها الظروف العصيبة عليهم..

وكان في مقدمـة أولئك الضباط.. الشـهيد رفعت الحاج سري.. الذي أدرك بحسـه الثوري الدَور الذي لا بدَّ للجيش أن يؤديه لينقذ البلاد من الشر المحيط بها.. وفي ليلة من ليالي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٢.. التقيت بالشهيد رفعت الحاج سري..

كان رفعت مثالا للعسـكري الصلـب.. الجريء.. في طباعه هـدوء.. وفي داخله ثورة عارمة.. كان عربيًّا مؤمنا مسـلما.. كان

رفعت ليلتها في نادي الضباط.. وكان لقاؤنا حول أوضاع بلدنا..

ومنذ اللحظات الأولى كان هناك إدراك مشترك بأن اللحظات الحاسمة من أجل العمل الثوري قد آنت.. وكان علينا أن نبدأ العمل.. وفوراً..

الفصل الثاني

- كيف اخترنا قاسمًا.. رئيسا للهيئة العليا للضباط؟.
- ((سرية الجراد)) كانت ستنفذ الثورة في بداية ١٩٥٨ ولكن!.
- كانت هناك كتلتان في الجيش تعملان من أجل الثورة.

جاء عام ١٩٥٢ يحمل معه بشائر التحرر العربي على أرض الكنانة الحبيبة، قامت ثورة تموز (يوليو)، فكانت ثورة محفزة لباقي المخلصين وشحذ هممهم..

وفي الوقت الذي كانت طلائع مصر الثورية تشق طريقها بصلابة.. كانت بغداد تعيش أحلك أيامها.. فقد كان الشعب آنذاك يرزح تحت حكم الحديد والنار، ويعيش في ظروف اجتماعية واقتصادية متناقضة.

فهناك إقطاع متشبث بالأرض، وفي الوقت الذي يملك فيه بضعُ مئات من الأشخاص الآلافَ من الدونمات، هناك أيضا الملايين ممن لا يملكون شبرا من الأرض لكي يجلسوا عليه، تضخم وشبع وإسراف في جهة، وجوع وعري وبؤس من جهة أخرى..

والقوى الاستعمارية لا تزال متمسكة بأساليبها العتيدة في حكم الشعوب.. أساليب التعاون مع الخونة والأذناب وجعلهم أداة للسيطرة على الشعوب وزرع الفوارق وبث العنصرية والطائفية..

في هذه الأيام السوداء، وشبه يأس يخيم على الناس. كان الهمس يدور بأن الأمل معلق على قوى الجيش رغم كل القيود التي فرضوها على الجيش ورجاله..

لقد عانى الجيش من طغيان نوري السعيد واستبداده، لم يبق بين صفوف الجيش مَن لم يصبه الاضطهاد والتنكيل.. وكان الإحساس

الـذي يـسري داخل صفوف الجيش أن أبناء الجيش هم من الشـعب وعليهم دور طليعي لا بدَّ أن يؤدوه..

وكان التساؤل الذي يدور في أوساط الجيش:

- كيف سينزل الجيش ضربته بالطغمة الظالمة؟.

ويتردد هذا السـؤال في الوقت الذي أحكمت فيه عناصر الخيانة قبضتهـا، وفي الوقـت الذي كان الاسـتعمار لن يـتردد في توجيه قواه للقضـاء عـلى كل مقاومـة أو ثورة.. ووسـط هذا الجو المتشـائم دبّ نشاط واسع بين صفوف الضباط..

كانت كل محاولاتنا حتى ذلك الوقت محاولات فردية تسـعى إلى تنظيم القوى، وتنشـد تجميع صفوف الأحرار في الجيش.. ورغم أن العمـل لم يكن دقيقا بالدرجـة التي تؤهلنا لـلإسراع بالمهمة المطلوبة منا..

إلا أن هـذه الفترة أدّت إلى خلق قاعدة مترابطة مؤمنة بدورها في إنقاذ البلاد..

كانـت العناصر التـي أخذت على عاتقهـا إعداد التنظيـم وتهيئته ليوم الثورة متعددة.. وقد كان منها الشهيد رفعت الحاج سري وعبد الوهاب الشـواف وعدد مـن الضباط ذوي الرُتب العليـا بينهم عبد الكريـم قاسـم الـذي فاتحته في أمر الاشـتراك معنا عندمـا عملنا معا في اللواء التاسـع عشر، وكنت أعمل آمرا لأحد أفواجه تحت رئاسـة قاسم..

كان قاسم في هذه الفترة يحاول أن يبرز لي إحساسه الوطني، ويحاول أن يفيض في الكلام عن شعوره بالظلم الذي يجعله لا يذوق النوم أياما، ويومها أحسنت النية ووثقت في الرجل رغم ما كان يشاع عن اتجاهاته وخلقه..

ومضت الأيام بنا..

والعراق في كل يوم يتعرض لمأساة جديدة تدفعنا للتعجيل بيوم الخلاص. لقد جاءت الضربة الجديدة في بداية عام ١٩٥٥.. ففي شهر شباط (فبراير) من هذا العام ألغيت معاهدة ١٩٣٠، ودخل العراق رسميًّا في حلف بغداد بعد أن قام نوري السعيد بوقف نشاط الأحزاب وإغلاق الصحف المعارضة وتزييف الانتخابات..

وكانت الولايات المتحدة قبل ذلك بنحو عام، أي في سنة ١٩٥٤ أعلنت قبولها إرسال أسلحة للجيش العراقي بناءً على طلب حكومة العراق وبموجب قانون الأمن الأمريكي المتبادل.

وفي بداية عام ١٩٥٥ كان النشاط الاستعماري قد بلغ أشدّه عندما أعلن الاتفاق العراقي التركي.. الذي جاء بعده توقيع التحالف بين تركيا والعراق وباكستان وإيران وبريطانيا.. وخرج إلى الوجود حلف بغداد.

وفي نيسان (أبريل) من نفس العام أبرمت حكومة نوري السعيد معاهدة جديدة مع بريطانيا مدتها خمس سنوات، كان الهدف منها ربط العراق بجهاز الدفاع البريطاني عن الشرق الأوسط.

وبموجب هذه المعاهدة أعطي لبريطانيا حق استخدام المطارات والقواعد العسكرية والممرات وطرق المواصلات للقوات البريطانية. جاءت هذه المعاهدة بكل ما رافقها من حوادث لتزيد من سخطنا ولتضعنا أمام الأمر الواقع.. التغيير..

وجاء عام ١٩٥٦، ووقف جمال عبد الناصر يكيل للاستعمار ضربته عندما أعلن تأميم قناة السويس..

أخذنا نتابع الحالة الهستيرية التي أصابت قوى الاستعمار؛ حتى كان العدوان على بور سعيد..

لقد كانت إذاعة القاهرة تنقل لنا ما يجري على أرض الكنانة من اعتداء آثم، وكنت أرى رفاقي الضباط يكتمون غيظهم.. وكثير منهم كان يقضي الليل بطوله معي نتابع أحداث الاعتداء ونتناقش حول دَورنا لصد هذا الاعتداء بعد أن أصبح العراق قاعدة عدوانية تستخدم ضد مصر الثورة..

وأذكر أنه في إحدى الليالي جاءني قاسم وهو شبه مغموم ويداه ترتجفان وهو يقول لي:-

- ماذا سنفعل يا سلام.. حرام أن نسكت والشقيقة مصر يعتدون عليها..

لم أكن في ذلك الوقت أتصور أن هذا الرجل الذي يقف أمامي سيتحول يوما ما إلى شعوبي حاقد باحث عن شهواته.

لقـد كان الاعتـداء الآثم على أرض مصر عاملا من أهم العوامل التي دعتنا إلى عقد اجتماع سريع مع خلايا الضباط، وفي هذا الاجتماع قررنا أن نضرب ضربتنا.

وقمـت بتوزيـع الواجبات على الأفـراد، وتحديـد دور كل واحد منهـم، ولم يبق سـوى التنفيذ.. وقبل أن تحين سـاعة الصفر خرجت من وزارة الدفاع قوائم لتشـمل نقل وإبعاد وإحالة على التقاعد لعدد كبير من ضباطنا ومذيلة بالتنفيذ فوراً.

وكانت مفاجأة..

رفعـت الحـاج سري نقل من منصبه في بغـداد إلى منصب ضابط تجنيـد في قلعـة صالـح بالعمارة في جنـوب العراق.. وهنـاك أحاطوه برقابة شـديدة وعدد كبير من الجواسـيس ورفضـوا عودته إلى بغداد رغم محاولاته المتكررة..

ممـا اضطـره في النهاية إلى تقديم اسـتقالته من الجيـش لكي يعود إلى بغـداد.. وكان من بين الضباط الذين شردوا الحاج علي أحمد فؤاد الذي أحيل على التقاعد، وشـاكر محمود شكري الذي نقل إلى البعثة العسـكرية في ليبيا، وشـكيب الفضلي الذي نقل إلى باكسـتان بحجة حضور المناورات العسكرية هناك.

أما أنا فقد رشـحت للسـفر للالتحـاق بالقطعـات البريطانية في دسلدورف بألمانيا الغربية للتدريب!.

وخـلال وجودي في ألمانيا وقعت في خلافات عديدة مع الضباط

الإنجليز.. وعدت من هناك قبل أن أنهي دورة التدريب..

بعد تشريد الضباط الأحرار.. كنا نتساءل:

- مَن الذي وشى بالتنظيم؟.

في وقتها لم تتضح الحقيقة.. فهناك مَن يقول إن قاسمًا له علاقة بخلية شيوعية أرادت أن تضرب تنظيمات الضباط الأحرار حتى يخلو لها الجو.. وقيل يومها إن قاسمًا شخصيًّا هو الذي أخبر نوري السعيد بكل شيء حتى يدعم مركزه إلى أن تأتيه الفرصة هو وحده..

ومرّ عام ١٩٥٦ بكل أحداثه..

انتصرت الثورة المصرية على قوى الغدر والعدوان وانسحبت الجيوش الأجنبية من أرض النيل.. وأصبحت التجربة المصرية التي هزمت قوى ثلاثة جيوش معتدية رمزا لقدرة الشعب العربي وصلابته.

هذا الانتصار فتح أمامنا باب الأمل من جديد، وقد أصبح علينا، أن نعيد تنظيم صفوفنا، وأن نُعدَّ العدّة لليوم الموعود...

ومع عام ١٩٥٧ أخذنا نعيد تشكيلاتنا من بين الضباط الأحرار سواء من كان منهم في الجيش، أو مَن كان منهم قد أحيل على التقاعد..

كانت دعوتنا تلقى استجابة سريعة حتى استطعنا أن نُكتِّل(*)

(*) نُكتِّل: أي جمع مجموعة بحيث كانت ككتلة.

أكثر من ثلاثمائة ضابط في أقل من شهرين.. وكنا نتبع في التنظيم طريقة الخلايا.. ولكل خلية مسؤول، بينما هناك حلقة اتصال بين قيادة التنظيم وقواعده..

وفي نفس الفترة التي كنا نعيد فيها التشكيل.. كان غيرنا يعمل من أجل الهدف نفسه.. فقد كان داخل الجيش كتلتان للضباط الأحرار تحاولان تجميع صفوفهما.

كان مجرد قيام تشكيلين داخل الجيش يهدد سلامة أي عمل يقوم به أي منهما.. وفي الوقت نفسه تشتيت للجهد وإضاعة للوقت..

فكانت وجهة النظر التي أجمع عليها الضباط، أنه ما دام هدف الكتلتين واحدًا فليس من المصلحة في شيء أن نشتت جهودنا، وإنه لا بدَّ أن تنضم الكتلتان في كتلة واحدة..

وفي اجتماع ضم أعضاءً من الكتلتين تم الاتفاق على ضم الكتلتين.. وقد حضر هذا الاجتماع معي ناجي طالب وشقيقي عبد الرحمن محمد عارف.. وعقب دمج الكتلتين تشكلت الهيأة العليا لتنظيم الضباط الأحرار..

ومن أعضاء هذه الهيأة:

رفعت الحاج سري- ناجي طالب- محمد سبع- طاهر يحيى- عبد الوهاب الأمين- عبد الكريم فرحان- رجب عبد المجيد- محي الدين عبد الحميد- عبد الوهاب الشواف- محسن حسين الحبيب- صبيح علي غالب- وصفي طاهر- عبد الكريم قاسم- وأنا.

وفي بداية اجتماعات الهيأة بحث الأعضاء الأسلوب التنظيمي لاجتماعات الهيأة.. وخلال المناقشات برزت أكثر من فكرة، فقد كان هناك مَن ينادي بالاستمرار في الاجتماعات بشكل ديمقراطي وبروح التعاون..

وكان البعض يرى أن يكون للتنظيم رئيس شكلي، واقترح أن يكون الرئيس هو أقدم العسكريين رتبة.. وعلى هذا الأساس، قفز قاسم على رأس التنظيم.. وبدأت اجتماعاتنا..

كنا نعقد بعضها في المعسكرات.. والبعض الآخر في بيوتنا.. وكنا نتنقل بين الأعظمية والعلوية والكرخ.. وغالبا ما كنا نعقد اجتماعاتنا هذه أيام الخميس؛ حيث يقضي معظم الضباط عطلاتهم الأسبوعية في بغداد..

وفي كل الاجتماعات كانت تدور إلى جانب المناقشات التنظيمية نقاشات أخرى حول الثورة.

هل هي مجرد حركة للإطاحة بنوري السعيد وطغمته؟.

أو هي ثورة من أجل تغيير شامل؟.

لقد كان يغمرني إحساس دائم بأن ثورتنا القادمة ليست مجرد حركة عسكرية للإطاحة بقواعد حكم فاسد فقط.. وإنما لا بدَّ أن تكون ثورة أصيلة تتركز فيها حصيلة البركان الهائل الذي ظل يتفاعل سنوات طويلة..

فالثـورة قادمـة ولا بـدَّ أن تكتسـب أصالتها من جـذور النضال العميقـة التـي تمتد إلى الوراء عشرات السـنين.. لا بـدَّ أن تكون هذه الثـورة لمواجهـة الاسـتعمار وقواعـده. فالاسـتعمار يـرى في أرض الرافديـن وبـاب المندب وقناة السـويس ومضيق جبـل طارق وخط برلين- بغداد..

وكلها منافذ تشرف عليها الأمة العربية.. يرى فيها شريانا حيويًّا للمواصلات ولاتصـال القارات ومعابر للتجـارة ومراكز للثروات الهائلة من وقود ومعادن وأغذية، إنه يرى فيها مراكز سيطرته.. ولقد تفانى الاستعمار من أجل الحفاظ على هذه السيطرة..

وبرصاص الاسـتعمار سقط العديد من شـهدائنا، وارتوت أرض بغداد بدماء صلاح الدين الصباغ ومحمد سلمان وفهمي سعيد ويونس السبعاوي وغيرهم من الشهداء الذين قدمهم العراق قربانا للحرية.

إذن فالثورة قادمة.. لا بدَّ أن تكون ثورة شاملة.. فنوري السعيد وغيره ليسوا إلا صنائع استعمارية يحركهم أسيادهم.

وقـد كانت التجربـة الثورية في مـصر أمامنا بـكل تفاصيلها وما واجهتـه من مصاعب وضعتها في طريقها الرجعية المحلية والعالمية.. والضغوط التي مارستها عليها دول الاستعمار..

ومنذ البداية كنا نضع أمامنا كل الاحتمالات..

لقـد حوّل حلـف بغداد العراق إلى قلعة اسـتعمارية.. يدافع عنها الغـرب بكل قوتـه. وكنا نـدرك أن حركتنا لا بدَّ أنها سـتواجه بهياج

استعماري.. قد يصل إلى حد تحريك القوات البريطانية والقاصفات الأمريكية..

وقد تندفع الأساطيل الغربية متعاونة مع إيران وباكستان، وربما تحركت القوات البريطانية من الأردن لتحتل بغداد. لكن ورغم كل ذلك الذي كان ماثلا أمامنا فإنه لم يهزنا، ولم يؤثر في عزائمنا. بل جعلنا نزداد إصرارا لوضع برنامج عمل يحقق للثورة ما تريده.

وتلخص هذا البرنامج في:-

* تصفية القواعد الرجعية والاستعمارية.

* تحقيق برامج الاصلاح الزراعي.

* تدعيم الجيش والقوات المسلحة.

* إرساء القواعد التي تمكّن الشعب من أن يحكم نفسه بنفسه.

* إعلان الوحدة العربية مع مصر.

بعد وضع أهداف الثورة.. كان علينا أن نضع خطتها. والمشكلة لم تكن في وضع خطة الثورة بقدر ما كانت في كيفية تحريك القطعات العسكرية التي ستقوم بالتنفيذ.

فقد كانت تجمعات الضباط الأحرار موزعة.. بعيدا عن بغداد.. وأي حركة تقوم بها هذه التجمعات في اتجاه بغداد ستكشف خطة الثورة إن لم يكن هناك ما يبرر تحركها. لذلك أجمعنا الرأي على أن

يتحدد موعد الثورة مع أي تحرك يطلب من تجمعاتنا وتأخذ فيه طريقها إلى بغداد.

وبقينا نتحين الفرصة.. حتى جاءت في بداية عام ١٩٥٨.. فقد كان من المقرر أن يقام في بغداد استعراض عسكري احتفالا بيوم الجيش.. وسوف تتحرك بعض القطعات للاشتراك في هذا الاحتفال الذي سيحضره كل رؤوس الخيانة..

وضعت الخطة على أساس أن تقوم قواتنا بهجوم مفاجئ على منصة الاستعراض، وفي الوقت نفسه تكون قوات أخرى قد زحفت واحتلت الأماكن الحساسة في بغداد..

وأعددنا كل شيء..

كان لدي سرية تذهب إلى بغداد في الصباح، كانت مهمة السرية كما أعلن عنها رسميًا هي مكافحة الجراد.. بينما كانت مهمتها الحقيقية تنفيذ العملية.. على أن أتحرك ببقية القوات إلى بغداد لمساندتها..

وبعد أن أصبح كل شيء معدًّا.. ذهبت إلى مقر قيادة الفوج وأخذت أردد بعض آيات الله البينات.. وقبل أن أنام جاءني أحد الضباط في نحو الساعة الرابعة صباحا ليخبرني أن ((العزومة)) تأجلت..

وكان معنى تأجيل ((العزومة)).. هو توقف العملية، لأن أركان الخيانة لن يحضروا الاحتفال.. وعلى الفور اتصلت بزملائي وأبلغتهم الخبر.. كان علينا بعد ذلك أن نتحين فرصة أخرى.

كان كل ضابط يفحص الأوامر بإمعان شديد ربما وجد فيها ما يسمح بتحريك أيٍّ من قطعاتنا إلى بغداد.. وفي أحد الأيام جاءني عبد الغني الراوي إلى جلولاء.. وقال لي إنه درس مع بعض الزملاء خطة جديدة للثورة.. وجاء ليعرضها عليَّ..

كانت تفاصيل الخطة، اغتيال نوري السعيد وكل من معه في أثناء حضورهم حفل التخرج في كلية الأركان.. وقال لي الراوي إنه يحمل معه الغدارات التي ستنفذ بها عملية الاغتيال..

وأخذنا نتناقش حول الخطة.. وحملت الفكرة إلى أعضاء الهيأة العليا.. إلا أن الرأي اتفق على أن مثل هذه الخطة ستحقق التخلص من رؤوس الخيانة.. ولكنها لن تكون كافية لتحقيق أهداف الثورة بالشكل المطلوب، خاصة أن قواتنا الموجودة في بغداد لن تكفي للسيطرة على الموقف.

ومرة أخرى أرجئ موعد التنفيذ.. حتى كان الأسبوع الأول من شهر حزيران (يونيو) عام ١٩٥٨.. عندما تأكد لنا بشكل قاطع أن اللواء العشرين الذي كنت أعمل به سوف يتحرك إلى الأردن مارًّا ببغداد..

حملت هذه الأخبار إلى بغداد.. وعقدت عدة اجتماعات سريعة مع زملائي أعضاء الهيأة العليا.. واتفقنا على أن يكون ذلك هو موعد تنفيذ الحركة.. وأن يتوقف اللواء العشرون في بغداد للتنفيذ بدلا من الاتجاه إلى الأردن..

وبدأت بعد ذلك بالاتصال بالضباط الذين سيقومون بالتنفيذ.. وشهد يوم الخميس ١٠ تموز (يوليو) ١٩٥٨ نشاطا واسعا.. فقد كان عليَّ أن أمُرَّ على جميع الضباط المكلفين بتنفيذ العملية لأشرح لهم تفاصيل الخطة وتحركاتهم..

وقد حاول كثير من الضباط معرفة وقت ويوم الحركة، إلا أنني آثرت السرية، فقد كانت غايتنا الكتمان والمباغتة، واكتفيت بتبليغ عدد قليل جداً من الضباط وهم الذين سيقومون بواجبات التنفيذ، وكان واجبي أن أسيطر على اللواء العشرين وأعزل مقر قيادته واستلم القيادة..

كان عليَّ أن أقوم بذلك وأنا ما زلت آمراً للفوج الثالث من اللواء. كان اللواء لا يملك العتاد عدا فوجي الذي دبرت له السلاح من قبل.. وفي الوقت نفسه كانت قطعات التنفيذ في معسكر الرشيد في بغداد لا تملك العتاد أيضا..

وكان الاتفاق بيننا أن أرسل لهم العتاد على أن يكون ذلك إشارة إلى بدء العملية فورا.. بعد أن اطمأننت إلى كل ذلك، وبعد أن كتبت تفاصيل الخطة في «نوتة» صغيرة في جيبي.. أخذت أراجعها للمرة الأخيرة..

مهمتي في الخطة أن أتحرك باللواء تحركا طبيعيًّا.. وعلى أن أتحمل مسؤولية التنفيذ في بغداد بكل تفاصيلها.. وأكون على رأس القوات التي تحتل جانب الكرخ وفيها الإذاعة والتلفزيون وقصر الرحاب وقصر نوري السعيد..

ويقـوم ضابطان تابعان لي باحتلال قـصر الرحاب. وتقوم سرية بقيـادة أحـد الضبـاط باحتلال قصر نـوري السـعيد.. ويقوم ضابط آخـر باحتلال دائرة البرق والبريد.. بينما يقوم عبد اللطيف الدراجي باحتلال وزارة الدفاع والمكاتب الحكومية..

إلى جانـب قيام أخي عبد الرحمن عـارف بمهمة ضابط الاتصال للخطـة وتدعيـم قواتنـا في بغـداد. كان الوقت مـا زال قبل منتصف الليل.. قمت إلى أوراقي وأعددت صياغة البيان الأول للثورة الذي سيذاع فور احتلال الإذاعة..

وراجعـت القوائـم التي أعددناها بأسـماء الذين تقـرر عزلهم أو اعتقالهـم.. ومـن قبل كنت قد ودعت أبنائي وأهـل بيتي.. وتوكلت على الله وقمت أصلي.. ثم مسكت بالقلم أكتب وصيتي إلى أخي عبد السميع أوصيه فيها بأبنائي ووالدي..

وبقيـت بعدها متيقظاً.. إلى أن حانت سـاعة الصفـر.. و.. فجأة وقبـل أن نبدأ التنفيذ رفض أحد الضباط التحرك مع فوجه. وهددنا بفضح الثورة..

الفصل الثالث

- قاسم حضر إلى بغداد بعد نجاح الثورة.
- قال عبد الناصر.. ((اكتبوا ما شئتم فسأوقع عليه)).
- أول خلاف مع قاسم سببه.. أني لا أتحدث عنه!.

كان علينا أن نتحرك بقواتنا من جلولاء لنصل إلى بغداد قبل بزوغ فجر ١٤ تموز (يوليو).. ولكن عندما بدأت عمليات التحرك.. وقعت حادثة كادت تؤخر موعد تنفيذ الثورة..

فبعد أن عزلت قيادة اللواء العشرين قمت أنا بقيادة اللواء.. اعترض أحد الضباط ويدعى ياسين محمد رؤوف، وكان يشغل منصب آمر الفوج الثاني.. وكان رفضه يعني بالنسبة لنا التأخر في التنفيذ..

وقد حاولت إقناعه بالتراجع، لكنه أصر على موقفه، فأمرت باعتقاله فوراً.. وقام الضباط باعتقاله وعزله رغم مقاومته.. وتسلّم ضابط آخر قيادة الفوج الثاني.. وقد استمرت هذه العملية حوالي ساعة مما أدى إلى أن بعض ضباط الحركة كادوا يعودون إلى أماكنهم لولا إصراري على المضي في التنفيذ..

وقد تقبلوا الأوامر بوطنية صادقة وإخلاص كان له أثره في تعويض الوقت الذي ضاع.. كنت حريصا على أن تتم العملية بشكل طبيعي حتى لا يشك في تحرك اللواء.. ولذلك لم يكن أحد من جنودي يعرف شيئاً عن مهمة اللواء في بغداد إلا اللهم الضباط المكلفون بواجبات معينة..

ومع خيوط الصباح الأولى.. كانت قواتنا قد وصلت إلى منطقة بغداد الجديدة.. على مشارف بغداد.. وهناك جمعت الضباط والجنود وكشفت لهم عن مهمتنا.. وقلت لهم:

- مَن يريد أن يبقى معنا ليساهم في هذا الشرف الوطني فليبق.. ومن لا يريد فلينسحب من الآن.

ولم يتركنا جندي واحد.. تحرك الجميع في حماس لم أكن أقدر أنه سيصل إلى هذا المستوى.. وبدأت القطعات تتحرك إلى المكان الذي رسمته لها الخطة. وفي نحو الساعة الخامسة والربع بدأت قواتنا في قصف قصر الرحاب.. واستمر القصف حتى الساعة السادسة تقريباً..

وعند محاصرة القصر طلب إلى من بداخله تسليم أنفسهم.. لكنهم رفضوا.. وعندئذ بدأت المصفحات مع قوة المدفعية بضرب القصر لنسفه بمن فيه.. وكان بعض أفراد الحرس يحاولون مقاومة قوات الجيش، وشبت النيران في القصر نتيجة لانفجار وقع في مستودعات الأسلحة التي أصابتها نيران قواتنا..

وفي الوقت نفسه كانت قوات أخرى تحاصر قصر نوري السعيد الذي كان يشبه القلاع.. ولكنه استطاع الهرب بمعاونة بعض العملاء.. إلى خارج القصر.. حيث ألقي القبض عليه في اليوم الثاني وهو يرتدي زي امرأة..

وكانت بقية القوات قد قامت بواجبها دون مقاومة تذكر.. فاحتلت قواتنا دائرة البرق والبريد.. وسيطرت على وزارة الدفاع.. ودخلت مع قواتي إلى مبنى الإذاعة، حيث أذعت على الشعب البيان الأول للثورة..

وهنا لا بدَّ من وقفة قصيرة.. لتحية شعبنا البطل.. لقد عمّت الثورة أفراد الشعب.. وتلقت الإذاعة الآلاف من البرقيات سواء من وحدات الجيش أو من أفراد الشعب وخرجت المظاهرات ثائرة في كل مدن العراق وقراه...

وسيطرت وحدات الجيش- دون أية تعليمات- على منشآت النفط في البصرة وكركوك والموصل خشية تخريب المخربين..

وقد كان الحادث الوحيد الذي وقع هو ما قامت به السفارة البريطانية من إشعال الحريق في أوراقها وملفاتها خشية وقوع الأوراق في أيدي الثورة.. وقد أدى ذلك إلى إشتعال النار في بعض غرف السفارة.

ولكن سيارات الإطفاء سارعت إلى هناك كما أرسلنا أحد ضباطنا لمتابعة الموقف ونقل رجال السفارة إلى فندق بغداد بحماية الجيش حتى لا يفتك بهم الشعب وهو في قمة ثورته..

وكانت الجموع الثائرة قد هاجمت تمثال الجنرال مود الذي كان قد احتل بغداد وصنعوا له تمثالا منذ الحرب العالمية الأولى.. وقد أحاطت الجماهير بالتمثال وألقت به في عرض الشارع.

وكان الوقت يمضي وكل ضابط مكلف يرسل لي بمندوب ليخبرني عن نجاحه في تأدية الواجب الذي أنيط به. حتى جاءت الساعة الثانية عشرة ظهرا.. فإذا بعبد الكريم قاسم يصل إلى بغداد ويحضر إلى مبنى الإذاعة بعد أن تأكد له نجاح الثورة وسقوط الخونة..

جـاء ليهنّئني بالثـورة وبجهودي وجهود الضبـاط التي أدت إلى نجاحها. ولم يمكث قاسم معي أكثر من ثلث ساعة، ذهب بعدها إلى وزارة الدفاع حيث اطمأن إلى أن قواتنا تسـيطر هناك.. وسيصبح في مأمن من أي خطر..

وكان القـرار الأول الذي أذيع بعد الثـورة هو نفس القرار الذي سبق أن اتفقنا عليه في اجتماعات الضباط الأحرار..

فقـد أبرقنـا إلى الرئيس جمال عبد الناصر بعد وقـوع الثورة بنحو ثلاث ساعات نعلن له بكل فخر واعتزاز اعتراف الجمهورية العراقية بالجمهورية العربية المتحدة..

وبعد ساعات قليلة جاء اعتراف الجمهورية العربية المتحدة بثورة العـراق وجمهورية العراق.. ومر اليـوم الأول والثاني للثورة.. وكانا يحملان معهما تطورات متعددة..

فبعـد إعـلان تشـكيل مجلـس السـيادة.. وتشـكيل الحكومـة.. واعـتراف العديـد من الـدول بالجمهوريـة الجديـدة.. أصيبت قوى الاسـتعمار بما يشـبه الذهـول وجمعت قواهـا لمحاولـة ضرب الثورة الوليدة..

وفي الوقت نفسـه صرح الرئيس جمال عبد الناصر بأن الجمهورية العربيـة المتحـدة تعتبر أي عدوان على الجمهوريـة العراقية في الوقت ذاته عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة.

وكانت القوات الأمريكيـة ترابط في لبنان.. وكانت الاحتمالات

تشـير إلى أن هذه القـوات وغيرها من القوات المرابطـة في المنطقة قد تتحرك في محاولة يائسة لاسترداد مواقعها داخل بغداد.

وعقـد مجلـس الـوزراء أول اجتماع لـه ودرس الموقف على ضوء التطـورات الجديدة وعلى ضوء التصريحات التي خرجت بعد اجتماع الرئيس جمال عبد الناصر مع نيكيتا خروشوف.

وفي يـوم ١٨ تمـوز أعلـن أن الرئيـس عبـد الناصر قـد وصل إلى دمشـق وعقـد اجتماعا سريعا مع قـادة الإقليم السـوري.. وتقرر أن أقوم بالسفر إلى دمشق للاجتماع بالأخ جمال عبد الناصر، كما تقرر أن يرافقني بعض العسكريين.. والوزراء..

وفي السـاعة السادسـة صباحـا غادرنا مطار معسـكر الرشـيد في طائرة عسـكرية.. فوصلنا دمشق نحو التاسعة صباحا حيث نزلنا في استراحة المشير عبد الحكيم عامر..

وفي الحاديـة عـشرة جاءنـا الأخ جمـال عبـد النـاصر.. تعانقنـا.. أحسست أننا نعرف بعضنا منذ زمن بعيد.. لقد كنت أعرف كل شيء عن عبد الناصر البطل.. الشجاع المسلم.. المؤمن بقوميته وعروبته.

وكنـت أحس أننا نلتقي على خط واحد.. خط الثورة والوحدة.. وبدأ حديثنا عن الأوضاع في بغداد.. والتهديدات التي توجه للثورة؛ خاصة إنزال القوات الأمريكية وإنزال القوات البريطانية..

وتحدثنا عن عدم اعتراف بعض الدول بالثورة حتى تلك اللحظة. ودار حديـث طويل حول الوحـدة.. وكان الرئيس عبد الناصر يرى

أن على الثورة أن تدعم نفسها أولا وأن تقضي على أعدائها..

وكان على أعضاء الوفد العسكري أن يجتمعوا مع ممثلي الجيش الأول عقب الغداء لبحث احتياجات الثورة لمواجهة التهديدات التي تتعرض لها.. وقد عقد اجتماعان مع بعض قادة الجيش واتفق على كل شيء..

اتفق على كيفية تعاون قوات الجمهورية العربية المتحدة للاشتراك مع القوات العراقية في صد أي هجوم قد يقع على ثورة العراق.. كما اتخذت الوسائل اللازمة لمواجهة أي توتر قد ينشأ على الحدود لمواجهة الثورة الوليدة..

ووضعت خطة تحرك القوات وإعدادها والامدادات.. وكل شيء.. وهذه هي أول مرة يعرف فيها العالم هذه الحقيقة التي لم يذكرها قاسم ولم يعترف بها.

لقد كانت الجمهورية العربية المتحدة تضع كل إمكاناتها في تدعيم ثورتنا.. وفي نهاية الزيارة قمت أنا بالاتصال ببعض الإخوة السوريين والمصريين لوضع نص الاتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة..

ولا زلت أذكر كلمات الأخ جمال عبد الناصر عندما قال لنا:

- «إنني مستعد أن أوقع أي شيء تكتبونه.. فمعركتنا واحدة وسبيلنا واحد.. وكفاحنا واحد..

واعتبروني جنديًا معكم».

وعدنا من دمشق بعد أن استقبلتنا جماهير الإقليم السوري استقبالا حافلا ترك في نفسي أثرا كبيرا.. وإن دلّ هذا الاستقبال على شيء فإنما يدل على وحدة الثورة العربية وعلى وحدة الأرض العربية..

عُدنا إلى بغداد بعد أن أذيع نص الاتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية، الذي أكّد تمسك البلدين بميثاق الدفاع المشترك، كما أكّد أنّ لأي من البلدين حقَّ اتخاذ الاجراءات العملية لمواجهة أي عدوان على البلد الآخر..

وكان المقصود من هذا النص أن تعرف قوى الاستعمار أن الجمهورية العربية المتحدة لن تقف بعيدا عنا لو أن أي عدوان حدث على أراضينا، وكنا أيضا قد اتفقنا على التدابير التي يمكن اتخاذها فورا في حالة وقوع أي عدوان من هذا النوع.

وإن فضلنا وقتها عدم إذاعة كل شيء.. وسارت الأمور في طريقها العادي..

وكان لا بدَّ، لتثبيت قاعدة الثورة، من عمل جماهيري واسع..

لذلك تقرر أن أقوم بجولة في مدن العراق وقرى العراق أشرح أهداف الثورة ضمن حملة تعبئة جماهيرية لاستقطاب قوى الشعب حول ثورته.. وبدأت جولتي.. سافرت إلى الحبانية.. وذهبت إلى الألوية الجنوبية..

كانت الجماهير تلتهب للثورة.. وتطلب مني أن أخطب فيهم..

فكنت ألقي فيهم كلمات أضع فيها كل إحساسي بالثورة. كنت أحدثهم عن الإقطاع الذي استشرى في بلادنا.. وعن ضرورة إعطاء الفلاح حقه ونصيبه من الأرض..

حدث ذلك في مدينة الكوت عندما تحدثت عن دور الشيوخ الذين يستغلون عرق الفلاح، فكان أن قام الشيوخ بتقديم شكاوى عديدة ضدي.. بل أكثر من ذلك، حاولوا بالتعاون مع الرجعية إزاحتي عن طريقهم بعد أن تكشف لهم ما أصر عليه، وهو ضرورة تصفية الإقطاع..

وعندما عدت من إحدى جولاتي هذه.. كانت بداية الخلاف مع عبد الكريم قاسم.. وقد حاول قاسم أن يدفع بعض الضباط المقربين إليه ليسألوني:

- لماذا لم تمجد الزعيم؟.

- لماذا لا تذكر اسمه في خطاباتك؟.

وكان ردي عليهم.. إن هذه الثورة ليست ثورة عبد الكريم قاسم.. ولكنها ثورة الشعب أولًا وأخيرًا.

وكان من الطبيعي أن ينقلوا رأيي لعبد الكريم قاسم الذي لم يكن يجرؤ على أن يفاتحني في الأمر.. فقد كان يعرف؛

مَن الذي رسم خطة الثورة؟

ومَن الذي نفذها؟..

وما هو دَوره فيها؟..

ولكن قاسمًا بدأ يضع خطته للتخلص من وجودي بعد أن أصبح يحس أن الثورة ماضية في طريقها الذي لا يتفق مع أسلوبه وأسلوب أتباعه.. وقد أحكم قاسم وأتباعه خطتهم من أجل إزاحة كل القوى القومية، التي قامت الثورة على أكتافها، والتي تؤمن بوحدة الأرض العربية، والتي تنادي بالقاهرة قاعدة ومنطلقا للقومية العربية..

وكنّا في ذلك الوقت ندرك أن دخولنا في أية معركة جانبية سيؤدي إلى تفرقة الصفوف مما يزعزع مكانة الثورة، ومما قد يؤدي إلى تصدعها.. كنا نؤمن بذلك، ومن أجله لم نحاول أن ندخل مناورات أو محاولات قد تؤدي إلى تمزيق صفوفنا..

ورغم ذلك فما كنا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي أمام الاجراءات، التي كان يقدم عليها قاسم، والتي تؤثر تأثيرا واضحا على خط سير الثورة وعلى الأسلوب الذي كان لا بدَّ أن تُعالج به الأمور..

فمثلا كان قاسم يرغب في تدعيم أحد الأشخاص وجعله ممثلا للعراقيين في الأمم المتحدة.. وكان نفس الشخص هو الذي وشى بحركتنا من قبل.. ولكن قاسمًا أراد أن يسانده ويدعمه طبقا لخطة أراد تنفيذها..

هذه الخطة وضعها بعض الشعوبيين الحاقدين الذين تصوروا أن بمقدورهم عزل الجمهورية العراقية عن تيار القومية العربية..

وتدعيم قاسم والإطاحة بكل من أخذ على عاتقه أن يحقق أهداف الأمة العربية في الوحدة.. حتى يستطيع قاسم أن يكون في يدهم أداة يحركونها كيفما شاؤوا.

ومن هنا كان خلافي مع قاسم الذي أخذ أشكالا متعددة.. أخذت تتطور مع الأيام.. ففي أيام الثورة الأولى كنا نرى أنه لمصلحة الثورة لا بدَّ من وجه يتقدم الصفوف يتحدث باسم الثورة ويعلن قرازاتها التي يتخذها كهيأة عليا للضباط الذين نفذوا الثورة وأعدوا لها.

ولكن قاسمًا مع الأيام تصور أن مكانه الطبيعي في الصدارة وأنه لا بدَّ أن يطيح بصانعي الثورة.. وبدأ يتخذ قرارات منفردة ويعلنها.. يدعم رجاله ويعطيهم المناصب الحساسة رغم عدم كفاءتهم ورغم الشبهات التي تحوم حولهم..

حتى أنه قرر أن يبعد بعض الضباط الذين اشتركوا في تنفيذ الثورة.. ومن بينهم ضباط اللواء العشرين الذي دخل بغداد يوم ١٤ تموز (يوليو)..

ومنذ بداية الثورة تقرر أن يكون الشهيد رفعت الحاج سري مديرا للاستخبارات العسكرية.. وكان الشهيد ينقل لنا باستمرار تحركات أعوان قاسم ومحاولاتهم للسيطرة..

وقُلت لقاسم إن هذه التحركات لا بدَّ أن تقف.. ولا بدَّ من اتخاذ موقف حاسم من كل الذين يعبثون بمقدرات الثورة.. ولم يوافقني

قاسم.. وأخذ يتصرف كما يحلو له..

كان من مخطط الانحراف الذي قاده الشعوبيون الحاقدون حاملو المبادئ الهدامة الوافدة أن يقوموا بإبعادي خارج العراق.. حتى يخلو لهم الجو.. ويستطيعوا أن ينفذوا ما أرادوه..

وبعد شهرين فقط من الثورة.. قرر قاسم أن يعزلني تماما.. وكانت لديه هذه السلطة التي أعطيناها له باعتباره أقدمنا رتبة.. فقد كان قائدا عاما للقوات المسلحة ورئيسا للوزراء.

وانتهى تفكير قاسم إلى أن يعرض عليَّ السفر سفيرا للعراق في بون.. ورفضت.. وفي يوم ١٠-٩-١٩٥٨ استدعاني قاسم- فاصطحبت معي أخي عبد الرحمن- إلى الاجتماع الذي يضم أصفياء قاسم وأتباعه من الشعوبيين الذين أحضرهم لإقناعي بالسفر..

كان قاسم يحس أنه في الموقف الأضعف، وأن أي ضغط يمارسه بالقوة سيؤدي إلى عكس ما يرغب هو فيه.. ولكنني أصررت على الرفض، وقلت لهم بوضوح إن سفري إلى بون هو جزء من خطة يريد الشيوعيون تنفيذها..

وتركت الاجتماع الذي استمر حوالي عشر ساعات.. وخرجت.. ثم قدمت استقالتي رسميًّا من المنصب الذي عرضه عليَّ قاسم بتاريخ أول تشرين الأول (أكتوبر).. وعدت إلى بيتي..

وهناك زارني عدد كبير من زملائي وأصدقائي، الذين كانوا يعرفون حقيقة الثورة.. وكان كل واحد منهم يؤكد لي ضرورة

تمسكي بموقفي وأن الشعب الذي صنع الثورة لن يرتد للوراء يوما ما..

وأذكر أنه في يوم ٣ أكتوبر عام ١٩٥٨ جاءني عدد كبير من هؤلاء الأصدقاء رغم أن بيتي كان تحت رقابة شديدة بأوامر من عبد الكريم قاسم.. وقد كان من بين مَن زاروني عدد من الضباط الذين أقسموا يمين الولاء للثورة..

وقالوا لي يومها إنهم على استعداد لخوض ثورة جديدة حتى لا تنحرف ثورة الرابع عشر من تموز (يوليو).. ورددت بقولي إنني مؤمن معهم بأن الأمور سارت في عكس الاتجاه الذي كان يجب أن نسير فيه، إلا أنه علينا أن نتريث بالصبر وأن نتبع سنّة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فقد كان حامل رسالة ومبدأ وكان هناك مَن يحاول إيذاءه.. ولكنه صبر إلى أن تحقق له النصر..

وجاءني في نفس اليوم عدد من الوزراء القوميين، أذكر منهم جابر عمر وناجي طالب وفؤاد الركابي، وطوال أسبوع كامل تكررت محاولات قاسم لإقناعي بالسفر.. ولكنني في كل مرة كنت أرفض..

وكنت في نفس الوقت أضع في حسابي أنه لا بدَّ من وضع حد لتهوُّر ذلك الرجل المجنون الذي سيجر العراق إلى نكبة مؤكدة.. في خلال هذه الفترة كانت تدور في رأسي أفكار كثيرة..

انتهيت منها، إلا أن واجبي يحتم عليَّ أن أنقذ بلدي من هذا الطاغية قبل أن تقع الكارثة.. وفي صباح يوم ١١ تشرين الأول

(أكتوبـر) ١٩٥٨ زارني طاهـر يحيى ومعه فؤاد عارف في مسـكني.. وفهمت منهما أن قاسمًا يرغب في مقابلتي لتسوية موضوع سفري..

وتركتهـم لأرتـدي ملابسي.. وداخـل غرفتي كانـت الفكرة قد اختمـرت في ذهنـي.. سـحبت مسـدسي ووضعته في مـكان أمين في سترتي.. وخرجت معهما وتوجهنا إلى وزارة الدفاع.

دخلت غرفة عبد الكريم قاسـم.. فوجدته مع وصفي طاهر، ثم طلـب من وصفي أن يخرج مـن الغرفة ووقف يحدثني محاولا إقناعي بالعدول عن قراري، وأنه سيزودني في ألمانيا بكل ما أطلب..

وعليَّ أن أذهب إلى بون حتى تهدأ الأمور.. ثم يعيدني مرة أخرى.. فقلت له إن مجرد خروجي من بغداد شيء لا أرتضيه.. ولا يمكن أن أرضخ لإرادة حفنة من الشعوبيين الذين يضمرون الشر لهذا البلد..

ولكن قاسمًا عاد يلح عليَّ مرة بالتهديد وأخرى بالوعود.. وعندما يئس من محاولاته.. أنهى المقابلة وذهب إلى باب الغرفة ليفتحه لي..

الفصل الرابع

- ذهبت لزيارة قاسم في مكتبه.. فاعتقلني!
- أضربت عن الطعام.. فطلبوا مني أن أكتب لقاسم..!

شـهدت غرفة رئيس أركان الجيش بوزارة الدفاع اجتماعا طويلا قبل أن أتخذ قراري النهائي.. القرار الذي توصلت إليه بعد مناقشات عديدة أشركت فيها معي الشـهيد عبد الوهاب الشـواف وأخي عبد الرحمن وعددا من رؤساء الفرق بالجيش.

كان مدار حديثنا العرض الذي قدمه قاسـم لسـفري خارج العراق لمدة ثلاثة أسابيع حتى يستطيع- كما قال- أن يعيد الأمور إلى نصابها من جانب.. ومن أجل الحفاظ على تماسك الثورة في أيامها الأولى من جانب آخر..

كان هنـاك بعـض المخلصـين الذيـن وضعـوا مصلحـة الثورة.. ومصلحة الشـعب فـوق كل اعتبـار، وكانت نصيحتهـم لي بالموافقة مبنية على هذا الاعتبار.. بينما كان هناك من يرسمون الخطة لإبعادي، وقد جاؤوا يغلِّفون خطتهم بثياب المصلحة العامة.

بعد كل المناقشات.. انفردت مع عبد الكريم قاسم لأبلغه قراري بقبول السـفر على شرط عودتي في نهاية الأسـابيع الثلاثة، فابتسـم لي قاسم وهو يقول:

- وربما أبرقت لك قبل ذلك لتعود إلى مكانك.

بعد أكثر من عشر سـاعات في حديث ومناقشات طويلة.. عدت إلى بيتي.. دخلت غرفتي وجلسـت بمفردي أفكر في كل ما حدث.. كان إحساسي أنني مقدم على مخاطر كبيرة.

هل يمكن أن يكون عرض قاسم جزءًا من مخطط محكم للتخلص من العناصر الوطنية؟.

كان ذلك هو الاحتمال الأرجح الذي بدأت أعتقد به.. ولكنني لم أكن أملك سوى قبول العرض بعد أن أجمع الرأي على ضرورة سفري حرصا على مصلحة الثورة من ناحية.. حتى تتاح فرصة تصفية العناصر المخربة من ناحية أخرى..

في صباح اليوم التالي (١٢ - ١٠ - ١٩٥٨) جاءني طاهر يحيى إلى البيت.. ومن هناك اتجهنا إلى المطار حيث كان قاسم وبعض الوزراء في توديعي.. لقد ترك قاسم مكتبه وجاء يودعني حتى يؤكد لي أن كل شيء يسير حسب الاتفاق.. وأن علاقاتنا ما زالت كما هي..

وصعدت إلى الطائرة أنا وعلي حيدر سليمان سفيرنا في ألمانيا الغربية.. في الوقت الذي بقي فيه قاسم واقفا في ساحة المطار يلوِّح لي حتى اطمأن إلى مغادرة الطائرة..

كانت الطائرة تمر خلالها رحلتها بعدة مطارات وخلال الفترات القصيرة، التي كنا نقضيها في هذه المطارات أتيحت لي الفرصة لأدرك أن العراقيين الذين يعيشون بعيدا عن بلدهم ليسوا بمعزل عن الأحداث.

وإنما يدركون ما يدور في بغداد من محاولات شعوبية للانحراف بالثورة.. ففي مطار بيروت- وكان أول مطار تهبط فيه طائراتنا التقيت بعدد كبير من أبناء الجالية العراقية في لبنان حضروا إلى المطار عندما عرفوا أنني سأمر ببيروت.

وسألوني عن الأوضاع، فقلت لهم إن الثورة لا بدَّ أن تستمر ولا

بدَّ أن تسير الأمور في طريقها الطبيعي. لم أشأ أن أحدثهم عن مخاوفي، فقد كان لدي بقية من أمل في تصحيح الانحراف الذي أوشك أن يقع..

وتكرر نفس الشيء في مطار اسطنبول.. كان هناك وفد من إخواننا الأكراد جاؤوا ليؤكدوا ولاءهم للثورة ووقوفهم ضد أي انحراف فيها..

مرَّ أكثر من خمسة عشر يوما تجولت خلالها في بعض بلدان أوروبا.. وفي كل عاصمة كنت أختار السفارة لأقضي هناك وقتي حيث أستطيع أن أتابع أنباء بغداد.. وكانت فيينا في نهاية رحلتي..

وفي اليوم الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني).. أي قبل نهاية الأسابيع الثلاثة بيوم واحد.. أبلغني القائم بالأعمال في فيينا أن علي حيدر سليمان اتصل بي تلفونيًّا من بون.. ويلح في ضرورة اتصالي به..

وخلال المكالمة القصيرة أبلغني علي حيدر سليمان، أن الأوامر جاءته من بغداد بتسليمي السفارة.. وعليَّ أن أذهب إلى بون لتسلّم منصبي سفيرًا للعراق. بعد مكالمة بون.. جاءتني برقية من بغداد تحمل نفس المعنى..

تقول البرقية:

- «من رئيس الوزراء للعقيد عبد السلام.. الموقف في الوقت الحاضر، يقتضي ذهابك إلى بون».

هناك كانت كل الخيوط قد تجمعت..

فترة الأسابيع الثلاثة مضت.. قاسم يصر على بقائي في بون.. والاتفاق الذي تم بيننا لم يعد له قيمة بالنسبة له.. وعلى الفور اتخذت قراري بالعودة إلى بغداد. وأعددت كل شيء.. واتجهت إلى المطار في مساء الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) لاستقل الطائرة العراقية..

وقبل أن تهبط الطائرة في مطار بغداد طلبت من قائدها أن يتصل بالمطار ليجهزوا لي سيارة تقلني فورا من المطار إلى بيتي.. وكنت قد طلبت منه من قبل ألا يخبر أحدا بوجودي على الطائرة..

كنت أعرف أن هناك مهمة كبيرة تنتظرني، ولا بدَّ أن أقوم بعدة اتصالات قبل أن أواجه قاسمًا.. وفي هدوء أقلتني السيارة إلى مسكني عن طريق شارع خلفي بعيدا عن الضوضاء.

لم تمض دقائق على وصولي حتى فوجئت بمن يطرق بابي ويطلب مني مقابلة عبد الكريم قاسم على الفور.. وبنفس ملابسي التي لم أبدلها، ذهبت إلى قاسم في وزارة الدفاع.. كان يبدو عليه القلق والتوتر..

حتى أنني أحسست بأن كل عضلة في وجهه تتشنج.. وقبل أن أتقدم بضع خطوات داخل الغرفة فوجئت بقاسم يقول لي دون مقدمات:

- «عبد السلام.. لماذا عُدت.. ألم تصلك برقيتي للسفر إلى بون».

قلت له:

- «وصلتني برقيتك. ولكنها تناقض اتفاقنا.. فالأسابيع الثلاثة قد مرت».

فقال قاسم وكان ما زال واقفا:

- «افهمني.. ماذا تريد أن تشتغل.. زعيم؟».

قلت له وأنا أتمالك أعصابي:

- «لقد كان لي الشرف في وضع خطة الثورة والإعداد لها وتنفيذها، ولم أطلب يوما منصبا..

ولكنني سأبقى إلى جانب الثورة لأحميها من أي انحراف أو عبث».

وحاول قاسم أن يرسم ملامح الهدوء على وجهه وهو يقول لي:

- «اسمع يا عبد السلام إذا لم تكن بون تروقك فاختر المكان الذي تريده، واشنطن.. جنيف.. استوكهولم».

وبكل ما أوتيت من قوة حاولت أن أبدو هادئاً وأنا أضع أمامه الحقيقة التي أخذ يلف ويدور حولها..

- «لماذا تريدون أن تتخلصوا مني؟.. لماذا تريدون إبعادي عن بغداد؟».

ودقّ قاسم بيده على المكتب، وهو يقول لي:

- «عبد السلام راح نفترق.. اذهب الآن».

وأخذني أحد الضباط معه.. وكان قد حضر بعد أن طلبه قاسم.. أخذني إلى مكان آخر، كنت أتصور أنني سأذهب إليه، ذهب بي إلى السجن. حيث كانوا قد أعدوا لي زنزانة!! لم أنم ليلتها..

ومع الصباح عرفت من حراسي أن إذاعة بغداد أذاعت نبأ اعتقالي بأمر الزعيم!!

لقد كشف قاسم عن وجهه الحقيقي دون مواربة.. إنه يخشى مجرد وجودي في بغداد حتى ولو بعيدا عن الحكم.. لقد تأصلت عوامل الحقد لديه منذ فترة الإعداد للثورة.. تلك الفترة التي رأى فيها مدى الإلتفاف والتآلف الذي كان يربطني بزملائي ممن شاركوا في تنفيذ الثورة والإعداد لها، الذين كانوا يرتبطون معي حول أهداف الثورة، التي كان في مقدمتها تأكيد عروبة العراق ووحدته مع الجمهورية العربية المتحدة.

لذلك أدركت أنني لن أكون وحدي هدفا لقاسم.. فلا بدَّ أنه بيّت النية للآخرين من الوطنيين المخلصين لبلدهم وعروبتهم. وقررت أن أضرب عن الطعام.. لعل ذلك يجعلهم يفكرون من جديد فيما هم مقدمون عليه.

بقيت يومين معلنا الصيام.. وعشتها مع آيات الله أرددها لتخفف عني تلك الصدمة.. وفي اليوم الثالث جاءني آمر الانضباط العسكري عبد الكريم الجدة.. وقال لي وهو يطل عليَّ من شباك زنزانتي:

- «أبو أحمد.. لماذا أنت مضرب عن الطعام؟».

وصرخت فيه:

- «لأثبت للعالَم أنكم خونة ومنحرفون».

ودخل إلى الزنزانة.. وأخذ يربت على كتفي وهو يقول:

- «لماذا لا تكتب رسالة إلى الزعيم تبين له فيها رأيك وأحوالك، وأسلمها له بنفسي.. ولقد وعد

الزعيم بزيارتك والاطمئنان عليك».

قلت له:

- «ليس لدي مانع من أن أكتب إليه.. لكنني لن أتوسل.. سأكتب الحقيقة كلها».

وفعلاً، كتبت لقاسم رسالة شرحت له فيها كل المخاطر، التي تتعرض لها الثورة.. والتي ستؤدي إلى انحراف التيار القومي الذي قامت الثورة من أجل تأكيده..

واحتفظ قاسم بالرسالة.. لم يشأ أن يُعلنها حتى لا ينفضح أمره.. ومرت أيام كثيرة.. أيام عشتها مع كلمات الله في كتابه العزيز.. الذي كان حصني وملاذي..

وكان كل يوم يمر عليَّ داخل السجن يعطيني قدرة كبيرة على المقاومة.. ويمنحني صفاءً ذهنيًّا.. ومزيدا من الإيمان.. كانت الزنزانة التي اختاروها لي مظلمة.. في أعلاها نافذة صغيرة.. جدرانها صلدة سوداء..

لقد حاولوا أن يعزلوني تماما عن الحياة.. منعوا عني كل شيء.. لا يزورني أحد.. حتى أهلي وأطفالي منعوهم من زيارتي.. الكتب.. الصحف.. حتى الورق منعوه عني.. ولم يبق لي سوى مصحفي أستزيد منه كلما اشتقت إلى أنيس..

ورغم كل هذه العزلة التي أرادوها لي.. فقد كنت أستطيع أن أعرف كل ما يدور في الخارج. كان بين حراسي رجال آمنوا بربهم وبقوميتهم وبعروبتهم، أبوا أن يتركوني في عزلتي، فكانوا بمثابة رُسل بين عالمي ذي الجدران الأربعة وبين عالم بغداد الذي أصبح مرتعا لمؤامرات قاسم.

كانت فترة السجن رغم قسوتها فرصة طيبة أستعيد فيها تجارب الثورة في أثناء الإعداد لها وبعد نجاحها.. وكانت أيضا فرصة سانحة لأسجل فيها ملحوظاتي وأفكاري..

وبواسطة حراسي استطعت أن أحصل على قلم صغير. وكنت أكتب فوق قطع صغيرة من الورق الذي كانوا يلفون لي فيه الخبز.

لقد بدأت آلامي النفسية تتلاشى تدريجا بعد أن بدأت أنظر إليها وأنا بين جدران أربعة نظرة خاصة.. نظرة استخلصت منها الكثير. ففي رأيي أن إحساسنا بالألم ونحن نواجه شرور الطبيعة ناتج من أننا لا نستطيع أن نفلسف هذه الآلام.

لذلك نرى معركتنا مريرة.. ولكننا نستطيع أن ندرك أنها ليست كذلك على الإطلاق، إذا ما أدركنا أن الألم والفشل يقدمان لنا سببا

معقولا للدفاع عن الحياة.. حتى نأخذ مكاننا في معركة البناء.

وبهذه النظرة كنت أحاول أن أسيطر على كل العذاب النفسي الذي كنت أتعرض له.. لقد لاقى محمد عليه الصلاة والسلام عذابه من أجل رسالته وعقيدته ومبدئه.. وما نلاقيه اليوم كان لا بدَّ أن نمر به.. لأن العذاب والمعاناة.. هي المحك الحقيقي الذي تتكشف عنده صلابة الإنسان المؤمن وقدرته على التمسك بمبادئه.

خلال الأسبوع الأخير من شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٨ جاءني أن قاسمًا قرر إحالتي إلى المحاكمة أمام ابن خالته فاضل المهداوي. عندما سمعت الخبر لم أنزعج.. فقد كنت أبحث عن الفرصة التي تتيح لي أن أقول بوضوح ما يحدث الآن داخل العراق..

لذلك قررت بيني وبين نفسي أن أحوّل المحاكمة إلى جلسة لإدانة قاسم وأعوانه وأكشف كل الخطط التي أعدّوها للانحراف بالثورة. وجاء يوم المحاكمة..

الفصل الخامس

• رفعت الحاج سري طلب إحالته على التقاعد.. فرفض قاسم..!

• دخل قاسم زنزانتي.. وقال لي: الإعدام غداً.

اليوم هو ٢٧- ١٢- ١٩٥٨

قاعـة المحكمة تتأثـر فيها بعـض العناصر القاسـمية.. المهداوي يتربع في صدرها.. وعلى وجهه ملامح هستيرية غريبة..

وبـدأت الجلسـة.. وإذا بالمهـداوي يعلن أنها جلسـة سريّة.. إذن فقـد خشي قاسـم من فضحه.. إنه بهذه الطريقـة أحال أي كلام يُقال داخـل المحكمة إلى شيء لا قيمـة له.. فبمقدوره أن يحيل كل الحقائق إلى عدم.. أن يقتلها قبل أن تغادر جدران المحكمة!!.

بدأت المحاكمة بتوجيه التُهم:

١- عدم ذكر اسم عبد الكريم قاسم وترديده في أثناء الخطابات في الألوية عقب الثورة.

٢- انحيازي إلى الفئات القومية.

٣- الإعداد لانقلاب ضد قاسم.

٤- الدعوة للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.

وقبل أن تنتهي محاكمتي عن التُهم الأربع.. كان قاسم قد طلب إضافة أي تهمة جديدة تراها المحكمة!! فقد أرسل خطابا للمحكمة قال فيها:

- «يُحاكم المتهم عن جميع الوقائع التي قد تظهر في أثناء المحاكمة، وتوجه له المحكمة التهمة التي تراها».

وعليـه.. قرر المهـداوي إضافة تهمـة «اغتيال الزعيـم» إلى قائمة التُهم الأربعِ.. فأصبحت خمسا!.

داخل قاعة المحكمة بدأت الحملة المسعورة ضد كل الذين آمنوا بقوميتهم وعروبتهم تشتد وتلتهب.. كان المهداوي كلما واجهته بالحقيقة يعلو صراخه. وأذكر حوارا بيني وبينه في الجلسة قبل الأخيرة داخل المحكمة:

قال المهداوي:

- «بماذا كنت تبدأ خطاباتك؟.»

قلت له:

- «أنت تعرف بماذا أبدأ خطاباتي؟».

وفجأة ثار وقال لي:

- «أنت مجرم».

قلت له:

- «أنا لست مجرما.. والتاريخ سيثبت أني لست مجرماً. أنا عبد السلام عارف وأنت تعرف

من هو عبد السلام.. أما المجرمون الحقيقيون فسوف تكشف عنهم الأيام».

لم يتمالك المهداوي نفسه.. وقف وأخذ يصيح بكلام غير مفهوم.. ثم قرأ قصيدة شعر.. بينما هيأة الدفاع تنظر بعجب إلى ما يحدث!

مضت أيام المحاكمة التي لم تستغرق أكثر من ستة أسابيع، وعدت بعدها إلى زنزانتي مع كتاب الله.. ووحدتي التي كانت رسائل أصدقائي التي تأتيني من خارج السجن، تخفف منها وتعطيني الأمل في أن كل شيء يمكن أن يعود إلى نصابه..

وفي مساء ٤ شباط (فبراير) ١٩٥٩ جاءتني رسالة صغيرة.. عرفت منها أن التوتر قد ازداد في بغداد وأن الموقف قد بلغ قمته، وأن ستة من الوزراء قدَّموا استقالاتهم بعد مناقشة صاخبة وحادة مع عبد الكريم قاسم..

وفي اليوم التالي، يوم السبت ٥ شباط (فبراير).. نقلوني إلى محكمة المهداوي لأسمع حكمهم الذي لم يكن مفاجئاً لي.. ونطق المهداوي بالحكم:

- «الإعدام شنقاً حتى الموت».

لم اهتز عند سماعي الحكم.. لم يكن الموت يخيفني.. فإيماني أقوى من الموت.. وإرادة الله أقوى من إرادة الجميع..

خرجت من قاعة المحكمة وأفكاري تتصارع.. إنني لن أكون آخر الذين يضحون بأنفسهم.. ولم أكن أولهم.. إنني واحد من طابور طويل، ولكن شعب العراق.. الشعب الذي كافح وناضل عشرات السنين حتى صنع قدره.. صنع ثورته..

إلى أين سيذهب به هذا المجنون؟.

وبينما كنت أعيش في انتظار اللحظة التي سينفذون فيها حكم الإعدام.. إذا برسالة تأتيني من الشهيد رفعت الحاج سري..

كانت الرسالة حول.. الثورة القادمة.. كانت الرسالة من تنظيم الضباط الأحرار الذين بدؤوا يعملون من جديد لمواجهة طغيان قاسم..

وقد استعد التنظيم بخطة جديدة لتقويم الانحراف وإرجاع الأمور إلى نصابها.. وقد حملت لي الرسالة تفاصيل الحركة التي يعتزم القيام بها الضباط الأحرار وخطة إخراجي من السجن بمساعدة أحد حراسي.

كانت الخطة المرسومة مكونة من جزأين؛ الأول يتم داخل وزارة الدفاع، حيث يعقد مجلس الوزراء ومجلس السيادة اجتماعهما.. وفي أثناء الاجتماع ستقوم مجموعة من الضباط بإحاطة مبنى الاجتماع.

على أن يتقدم عددٌ منهم وعلى رأسهم الشهيد رفعت الحاج سري برشاشاتهم إلى غرفة الاجتماع وإرغام قاسم على التنازل عن سلطاته وإلقاء القبض عليه، وإصدار مرسوم بالإفراج عن المعتقلين الذين دخلوا السجون لمعارضتهم سياسة قاسم..

أما الجزء الثاني، فيتضمن القوة التي ستتحرك سواء في بغداد أو في الألوية الأخرى.. وكان من المقرر أن تتحرك سريتان من الفوج الأول باللواء التاسع وفوج الإذاعة، والفرقة الثانية بكاملها واللواء

الثامـن في الحبانيـة وجزء من القوة الجوية وقسـم من ضبـاط الكلية العسكرية وضباط الاستخبارات.

بعد أيام.. جاءتني أخبار مؤامرة جديدة يعدها قاسـم وجماعته.. فقـد أعلـن الفوضويـون عقـد مؤتمـر لأنصـار السـلام في الموصل، وأخذوا يمهدون له باستفزازات تتنافى واسم المؤتمر..

وعندمـا بلغ الخبر الموصل تكهـرب الجو.. وأعرب أبناء الموصل العربيـة عـن قلقهم لما قد يحدث في أثناء المؤتمر.. فحمل الشـهيد عبد الوهـاب الشـواف- الـذي كان مقر عمله هناك- الأمـر إلى رفاقه في بغداد..

نقل إليهم حالة السخط التي أعلنها أبناء الموصل في نفس الوقت الذي نقل إلى قاسـم كل ما يـدور هناك واحتـمالات الصِّدام، ولكن قاسمًا رفض فكرة إلغاء أو تأجيل المؤتمر..

وقبل أن يترك الشواف بغداد كان قد التقى بالشهيد رفعت الحاج سري، ونقل له مخاوفه ودرس معه التعجيل بالإطاحة بقاسـم.. وكما روت لي الرسائل القادمة إلى سجني.. كان الشواف متوترا وثائرا إلى درجة كبيرة..

كان منفعـلا إلى الحـد الـذي طالب فيه بإعلان الثورة على قاسـم فورا قبل أن تقع الكارثة.. ووعده رفعت بعرض الأمر على التنظيم.. والقيام بمحاولة لإقناع قاسم بتأجيل المؤتمر حتى تتهيأ الفرصة لتنفيذ خطة الثورة..

عـاد الشـواف إلى الموصل في نهاية شـهر شـباط (فبراير).. وترك الأمـر لرفعـت.. ولكن كـما أخفق الشـواف في إقناع قاسـم.. أخفق رفعت أيضا، فطالب قاسـمًا بإعفائه من منصبه كمدير للاستخبارات وإحالته على التقاعد.. فرفض قاسم..

وقبل أن ينتهي الأسبوع الأول من شهر آذار (مارس) علمت أن مؤتمر أنصار السلام تم عقده في الموصل، وبدأت معه الاضطرابات، فقـد حمل أعضاء المؤتمر السـلاح وهاجموا السـكان الآمنـين واعتدوا على الأعراض.. وقتلوا وشردوا الأطفال والنسوة.

وبـدأت في الموصل أفظع مجزرة شـهدتها أرض العراق.. وسـال الـدم العـربي الطاهر عـلى أرض الموصـل. ليلتها رغـم كل التعذيب الذي مارسه معي حرّاس السجن.. ورغم الآلام المبرحة التي كانت تنتشر في جسدي لم أذق طعم النوم..

كانت صورة الموصل الجريحة لا تفارقني..

لقـد تحولت الثورة المجيدة في أقل من نصف عام إلى مجازر دموية رهيبـة يقودها ذلك المجنون الأحمـق.. إن تصرفاته تضع العراق على حافة الهاوية، والمصير المظلم ينتظر كل الأحرار.

وقـررت أن أكتـب رسـالة إلى التنظيـم أحملهـا رأيـي في ضرورة الإسراع بالثورة قبل أن يسـتشري سرطان الأخطبوط المجنون وقبل أن أكتب الرسالة جاءتني أنباء غيرت الموقف كله.

لقـد أعلـن الشـهيد عبد الوهـاب الشـواف الثـورة.. أعلنها من

الموصل وهو على رأس اللواء الخامس.. أعلنها في وقت سابق لموعدها.. لقد فرضت كل الضغوط والمآسي التي شهدتها الموصل ساعة الصفر..

وجعل الشواف من بيانه الأول إنذارا لبقية القوات للتحرك.. ولكن قاسمًا كان الأسبق..

كانت ساعات ذلك اليوم أقسى ساعات عُمري، كنت أحس بجدران زنزانتي تطبق على أنفاسي.. إنها العائق الوحيد الذي يمنعني من تأدية دَوري خارج زنزانتي، شددوا الحراسة.. المدافع ألمحها من تلك الكوة الصغيرة.. صوت أقدام الحرس الرتيب يزعجني..

مع طعام الغداء فتحت ورقة صغيرة تحمل أنباء بغداد. أعلنت إذاعة قاسم عن مكافأة قدرها عشرة آلاف دينار لمن يقبض على عبد الوهاب الشواف..

وتحركت طائرات قاسم من بغداد لتقصف مقر الشواف بمدافعها.. في الوقت نفسه استقل أحد ضباط الموصل الأحرار طائرة في اتجاه بغداد في محاولة لقصف مقر عبد الكريم قاسم.. ولكنه سقط بها بعد أن استهلك وقود الطائرة.

اقتحمت طائرات قاسم سماء الموصل وقصفت بقنابلها مقر الشواف.. وأصيب الشواف بجراح تم نقله بعدها إلى المستشفى.. وفي المستشفى طعنه أحد المأجورين بسكين وهو ينزف..

واستشهد الشواف.. مات وماتت معه الثورة التي أعلنها من على بُعد ٤٠٠ كيلومتر من بغداد.

وإذا وقفنا اليوم لنلقي نظرة سريعة على أحداث الموصل لأدركنا تماما أنها كانت مقضيًّا عليها بالإخفاق.. لقد كانت مجازر الموصل شرارة ولدت الانفجار.. ولكنه كان انفجارا عفويًّا غير منظم أو هو فقد تنظيمه نتيجة الظروف المحيطة به..

لقد كانت ثورة الموصل عملية فدائية.. وهي إن أخفقت إلا أنها استطاعت أن تؤدي دورا كبيرا، فقد حملت صوت أحرار العراق للعالم.. لقد كشفت ثورة الموصل السِّتار عن كل ما يدور على مسرح السياسة في العراق..

داخل السجن كان رد الفعل.. كما كان في مدن العراق.. مزيدٌ من البطش والتهور ومزيدٌ من كبت الحريات.. ومزيدٌ من القيود..

لقد شهد السجن بعد أحداث الموصل تطورات كبيرة، فقد بدأت عمليات التعذيب النفسي والجسدي بعد أن بدأت السجون تستقبل العشرات لا بل المئات من أحرار العراق..

وفي أحد الأيام جاءني ضابط صغير من ضباط السجن وبكل وقاحته أخذ يسبني.. ويتهمني بأنني أنا الذي حرضت الشواف على الثورة.. وفي كل أمسيَّة.. كانوا يأخذونني معهم لأرى العذاب الوحشي الذي يتعرض له المعتقلون.

كان شيئاً فظيعا يفوق الوصف.. الأجساد تسيل منها الدماء..

العيون لا تقوى على الحركة.. الأفواه فاغرة بشكل هستيري.. وأعود إلى زنزانتي.. أشباح الأحرار تلتف حولي.. أكاد أفقد عقلي.. و.. أهرب إلى كتاب الله.

وفي إحدى الأمسيَّات.. أطل عليَّ قاسم برأسه وأنا داخل زنزانتي، نظرت إليه بعينين ثابتتين، فإذا به يحوّل وجهه.. فلم أبادله حرفا واحدا واتجهت إلى النافذة التي تقع في أعلى الزنزانة والمصحف بيدي..

ووقف قاسم على باب الزنزانة وهو يسألني:

- «هل تريد إبلاغ شيء لأهلك؟.. هل لك توصية لهم؟..»

فقلت له:

- «ليس منك التوصية.. الله عز وجل يرعاهم».

فالتفت قاسم بعصبية إلى الحراس وقال لهم:

- «احلقوا له شعره.. الإعدام غدا».

الفصل السادس

- كيف كشف ناظم الطبقچلي أساليب قاسم أمام محكمة المهداوي؟
- بعد إعدام الشهداء.. وضعت الخطة لإخراجي من السجن.

لم تكن كلمة الإعدام ترهبني كما كان قاسم يتصور.. لقد خرجت ليلة ١٤ تموز (يوليو) واضعا نفسي وروحي فداءً لوطني ولشعبي، وكان احتمال أن أسقط في المعركة واردًا.. وها هي المعركة ما زالت قائمة..

إن أعدمني قاسم فلن يعدم العراق حرًّا ينقذ شعبه من حكم الطاغية.. سأكون واحدا في طابور طويل قدموا أرواحهم على مذبح الحرية.. هكذا كان تفكيري فيما قاله لي قاسم..

ومرت أيام.. ولا جديد.. لم ينفذ قاسم حكم الإعدام.. ولكن عمليات التعذيب النفسي والجسدي ازدادت.. وبدأت المعتقلات تستقبل المئات من أبناء العراق في أعقاب ثورة الموصل.. وكانت الأخبار تأتيني متتابعة..

عبد الله مجيد مرافقي الخاص قادوه إلى المعتقل بتهمة إيصال المعلومات إليَّ وطلبوا منه الاعتراف فرفض.. فانهالت عليه الأيدي والأقدام حتى أصبح لا يقوى على الحركة..

عبد الكريم فرحان اتهموه بالتآمر على قاسم وقادوه إلى المعتقل.. وهناك أطلقوا عليه عددا من جنوده يضربونه بكل شيء حتى الأحزمة التي أصابته إصابات متعددة في وجهه.. كثيرون ساقوهم إلى المعتقل.. وكثيرون عذبوهم.

وقبل أن ينتهي شهر آذار (مارس) ١٩٥٩.. كان قاسم قد ألقى القبض على معظم الذين صنعوا الثورة وساهموا فيها.. وفي مقدمتهم

الشهيدان رفعت الحاج سري وناظم الطبقچلي، وامتلأت المعتقلات بالأحرار..

وبدأت حملات منظمة هدفها تحطيم أعصاب المعتقلين.. فقد كانت تطوف حول المعتقل مظاهرات تهتف بسقوط القومية العربية وتردد الشتائم التي توجه للمعتقلين.. وفي الليل كانوا يستدعون زوارا للمعتقل يرافقون الحرس وهم يوجهون الإهانات للمعتقلين..

كما كانوا يقيمون حفلات تعذيب تستمر بالساعات.. وكان ناظم الطبقچلي واحدا من الذين صمدوا لتعذيبهم المستمر.. كانوا يهينونه وسط ضباطه وجنوده.. وكان يتحمل بجلد.. فقد كان الطبقچلي مثالا رائعا للصلابة..

قد عرفت قصته كاملة معهم عندما ساقوه من كركوك إلى السجن.. عندما وصل الطبقچلي السجن أدخلوه إلى غرفة التحقيق.. ووقف حفنة من صغار الضباط يسبونه.. ثم طلب منه أحدهم الاعتراف بدَوره في ثورة الشوَّاف..

ورفض الشهيد.. فهددوه باستعمال القوة.. ولم يتراجع ناظم.. بل رد لهم الصاع صاعين صارخا في وجوههم:

- «أنتم خونة تهينون الجيش وكرامته.. ولن أتكلم مهما كان التهديد».

وخرج الشهيد من الغرفة ليعود لها بعد فترة.. حيث عادوا يمارسون معه أحط أساليب التعذيب وأقذرها.. عاد ناظم إلى

سـجنه.. وهناك تحت سطوة العذاب النفسي الذي تعرض له قرر أن ينهي حياته.

وتناول الطبقچلي شـفرة حلاقة ومدها إلى يده اليسرى وقطع بها شريانه. وردد الشـهيد الشـهادة.. ولم يدر بشيء بعـد ذلك إلا عندما استيقظ في الصباح. فقد وجد الدم قد توقف وجمد ليسد القطع الذي أحدثته شفرة الحلاقة..

ولكن عندما ذهب الشهيد ناظم الطبقچلي ليغتسل عادت الدماء تتدفـق من يده مـرة أخـرى فانتبه الحراس.. واسـتدعوا رؤسـاءهم الذين أسرعوا إلى نقل الطبقچلي إلى المستشفى..

ونفـس الإهانـات والسِّـباب تعـرض لها الشـهيد رفعـت الحاج سري.. فبعـد أن قـادوه مـن داره ليلـة ٢٣ آذار (مـارس) ١٩٥٩ أدخلـوه إلى غرفـة صغيرة بعد أن طلبوا منه الاعتراف بالاشـتراك في ثورة الموصل..

وبدؤوا يصورون له التعذيب الذي سـيتعرض له إن لم يعترف.. ولكنه رفض.. فنقلوه إلى زنزانة بمفرده وسـط شتائمهم.. لقد كانت الإهانات التي تعرض لها الأحرار في سجون قاسم تفوق كل تصور..

لقد كان سلاحهم السب والإهانة والكلمات البذيئة والتصرفات الخارجـة.. كانوا يتناولون الخمر في قلب المعتقل.. وفي نهاية السـهرة يسكبونه مع الماء البارد المثلج على وجوه المعتقلين النائمين.

كانـت أسـاليبهم تصـل إلى أقصى حـدود القذارة.. فمثـلا كانوا

يقومون بعد منتصف الليل بالطرق على باب زنزانتي حتى أستيقظ، فإذا بهم يسكبون الماء على وجهي.. وأحيانا يدخلون الزنزانة وهم سكارى شاهرين مسدساتهم..

ثم يدخلون في مناقشة، أي أجزاء جسمي يستحق رصاصتهم. أساليب غريبة ومتعددة للاستفزاز.. في إحدى المرات- كما علمت من حراسي- أخذوا الشهيد رفعت الحاج سري إلى هيأة التحقيق...

وهناك أجبروه على الوقوف ووجهه للحائط منذ الصباح حتى المساء، ثم أعادوه إلى المعتقل دون أي سؤال. وكان أسلوب التعذيب النفسي هو أقصى ما وصل إليه فنِّهم.. فقد كانوا يأتون بالمعتقلين ويربطونهم قريبا من غرفتي.

ثم يبدؤون تعذيبهم بعد منتصف الليل.. ويرتفع صراخهم وأنينهم.. وتعلو صيحات الاستغاثة.. ولا أحد يستطيع أن يتحرك. ومع الصباح تبدأ حفلات تعذيب أخرى.. بعض المعتقلين يسوقونهم إلى هيأة التحقيق.

ومن ثم يعودون من هناك ودماؤهم تنزف فاقدي الوعي محمولين في لفافات وكأنهم موتى.. صور غريبة ذكراها تثير الاشمئزاز والنفور..

وتمر الأيام.. تحمل مزيدا من العذاب النفسي.. وآلام السجن تأكل الجسد.. ولكن الله سبحانه وتعالى يعطينا القوة والجلد في مواجهة هذا الطغيان.. وفي كل يوم أسمع العديد من قصص

التعذيب داخل معتقلات قاسم..

صور تفوق ما أقدم عليه النازيون الفاشيست.

وأنا داخل زنزانتي لا أرى سوى حراسي.. أبنائي تصلني أخبارهم ولا أراهم.. الصحف ممنوعة.. الخروج من الزنزانة لقضاء الحاجة فقط.. لا شيء يرحمني من ذلك الصمت الرهيب سوى كلمات الله البينات:

((وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ)). صدق الله العظيم.

في شهر نيسان (أبريل) جاءتني أخبار جديدة من بعض الضباط الأحرار الذين لم يكتشف قاسم أمرهم بعد.. لقد أعدت العدة مع بعض الفئات السياسية في العراق للقيام بعمل جديد.. خطة لاغتيال قاسم.. ولكن موعد التنفيذ لم يحدد بعد.

كان القوميون الوطنيون داخل العراق في حالة تشتُّت.. ورغم ذلك حاولوا بقدر طاقتهم وإمكاناتهم أن يواجهوا الموقف.. ومرت أيام كثيرة.. ولم تتم عملية اغتيال قاسم التي سمعت بها..

وخلال هذه الأيام.. وعقب ثورة الموصل بثلاثة أشهر بدأت الأخبار التي تصلني تأخذ شكلا جديدا.. لقد قرّر قاسم إضعاف القوى الشعوبية الشيوعية التي استند عليها في ضرب القوى القومية..

وفعلا أعطى قاسم بعض الامتيازات الصحفية لعدد من خصوم الشيوعية، وفي الجانب الآخر تحرك الفوضويون حتى أنهم بدؤوا يفكرون في القيام بانقلاب يثبت أقدامهم، إلا أن قاسمًا اكتشف الحركة في ساعاتها الأولى واستطاع الإطاحة بها، وأصبح في يده المبرر الكافي لضرب هذه القوة وكسر شوكتها.. ووسط هذه الأحداث بدأت القوى المؤمنة بثورة ١٤ تموز (يوليو) تسترد قوتها.

ولكن حدث شيء آخر غيّر الموقف. لقد قرر قاسم إعدام أحرار العراق رميا بالرصاص. وفي اليوم السابع عشر من أيلول (سبتمبر) نقل لي حراسي النبأ. واظلم كل شيء أمامي لحظة سماعي النبأ.

كيف يجرؤ قاسم على هذا العمل الإجرامي؟.

كيف يقتل صانعي الثورة ومنفِّذيها؟.

كيف سيتحمل دم ناظم ورفعت اللذين قدما أرواحهما فداءً للعراق.. بينما كان قاسم ينام في معسكره؟.

لقد كان ناظم الطبقچلي ورفعت الحاج سري أصلب الذين قدمهم قاسم للمحاكمة وأشجعهم.. فمنذ أسابيع عندما وقف ناظم الطبقچلي أمام المهداوي لم يرهب قاسمًا.. ولم يرهب محكمته..

ووقف يدافع عن نفسه.. لم يتوسل ولم يطلب الرحمة.. ولكنه وقف يوضح الحقيقة كلها.. ووقف في دفاعه يبين للعالم الخطة التي أعدها قاسم وزمرته للانحراف بأهداف ثورة تموز المجيدة.

وقد قدّر لي أن أقرأ دفاع الشهيد الطبقچلي، فإذا به وثيقة تدين الشعوبيين أنصار قاسم.. وثيقة مليئة بالحقائق الدامغة. وكما فعل ناظم.. كذلك فعل رفعت الحاج سري.. الذي كشف كل الأسرار التي كان يعرفها عن زمرة قاسم بحكم توليه منصب مدير الاستخبارات.

لقد حوّل الشهيد رفعت المحاكمة.. إلى جلسة إدانة لحكم قاسم الأسود.. أدلتها واضحة وقوية.. بحيث طلب قاسم الإسراع في المحاكمة وإصدار الحكم قبل أن يصل صوت رفعت إلى أرجاء العالم. وجاءت ليلة تنفيذ الحكم..

وعرفت من حراسي أن عددا من الوزراء وبعض الشخصيات العراقية تدخلت لوقف تنفيذ الإعدام.. ولكن قاسمًا.. كان يرهب الانتقام.. كان يخشى لو أفرج عن الأحرار أن يطيحوا به..

وجاء صباح ٢٠- ٩- ١٩٥٩..

سار الأحرار في شوارع بغداد تحرسهم الدبابات إلى ساحة أم الطبول.. وهناك أطلق الرصاص على شهداء العراق. سال دم الشهداء يروي أهداف تموز العظيمة.. سال الدم معلناً للملأ أن قاسمًا بلغ نهاية جنونه..

يوم ثقيل.. كل شيء فيه لا طعم له.. حتى التعذيب لم يعد يؤلم الجسد.. حتى تلك الأصوات التي تتعالى بصرخات الألم لم يعد لها تأثيرها السابق.. حتى كلماتهم البذيئة لم تعد تثير في النفس شيئا.

لم أخرج من زنزانتي.. بقيت فيها مع صورة ناظم بملامحه الهادئة.. بقسماته المشرقة.. بإصراره الثوري.. بكلماته الناضجة.. كانت أيامي مع الشهيد ناظم تطوف بذهني.. كلماته قبل الثورة وبعدها.

تذكرته أيام كنا نلتقي في كركوك والسليمانية وأربيل، كنت أذهب لزيارة هذه المناطق في أعقاب قيام الثورة. تذكرت لقاءاته الحارة.. وآماله العريضة في أمة عربية واحدة يرفرف عليها علم واحد..

تذكرت إيمانه بالله وبقدرته العادلة. تذكرت حديثه الممتع عن ثورات الرسول.

كيف حدث كل ذلك؟.

كيف سقط رفعت الحاج سري.. الرجل الذي آمن بمصير بلده منذ سنوات طويلة وكافح من أجلها؟.

لقد كانت تربطني بالشهيد رفعت صلة قوية. وكان رفعت مثالا للثوري الذي يعرف أهدافه بوضوح. كان ذكاؤه مثار حديث كل زملائه. وكان إيمانه بقضية الوحدة إيمانا لا يعادله إيمان.. كان أكثر الضباط تحمسا وأكثرهم إقداما..

وخرجت رصاصات الغدر تهدم البناء.. خرجت رصاصات الغدر.. تقضي على تلك العمد الثورية الأصيلة.. وفي تصورها أن العراق لن يجد بعد ذلك من يحمل الراية ويواصل الكفاح.

وجاء المساء يحمل معه أخبارا جديدة.. لقد خرجت بغداد كلها

تهتف ضد الظلم.. خرجت المظاهرات في كل مكان.. وتركزت في الكرخ والأعظمية.. تطالب بالثأر للشهداء.. وأرسل قواته لتطوق المتظاهرين..

لقد كان يوما حالكا في تاريخ بغداد.. يوما لا ينسى. وعندما أغفت عيناي.. بعد كل الذي سمعته.. رأيتهم معي.. رأيت ناظمًا ورفعت.. رأيتهما يرتديان ملابس بيضاء.. ويهتفان فيَّ بقوة:

- «الانتقام.. الانتقام».

كان الارهاق قد نال مني.. وكانت الأحلام تطاردني.. صورة الشهداء لم تفارقني لحظة. وجاء اليوم التالي.. عرفت أن قاسمًا قد أفرج عن بعض المعتقلين، ولكن التعذيب ما زال كما هو.

والارهاب داخل بغداد يزداد.. وفي أحد أيام الأسبوع الأخير من أيلول (سبتمبر).. جاءني من يُخبرني بأن هناك خطة وضعت وستنفذ لاغتيال قاسم.. في الوقت نفسه سيتولى أحد حراسي عملية خروجي من السجن.

الفصل السابع

- يوم ثورة تشرين.. قطعوا الكهرباء والماء عن مكتبي.
- هربوا السلاح والأموال للتآمر على الثورة في بغداد.
- كان علينا أن نعيد للعراق ٦ أعوام ضاعت من عُمره.

بعد أيام قليلة من ثورة ١٤ رمضان بدأت الناس تحس بالطمأنينة.. وكان على الثورة أن تصفي كل آثار الحكم القاسمي الأسود. وكان على الثورة أيضا أن تسعى لتحقيق أمل الجماهير في الوحدة.

وعلى الفور اقترحت على بعض الوزراء أن يتجهوا إلى القاهرة للبحث في أسس الوحدة. وقد استمرت هذه المباحثات طويلا.. وانضم إليها وفد سوريا بعد انقلاب ٨ آذار (مارس) في دمشق.. وخرج ميثاق الوحدة في ١٧ نيسان (أبريل).

ولكن سرعان ما ظهرت نيات الحزبيين ورغباتهم في السيطرة فجمدوا ميثاق الوحدة.. فبدؤوا يشيعون أن هناك وحدة بين العراق وسوريا.. وحدة تبنى على أسس حزبهم..

ولكنني عارضت ذلك المطلب عندما قدمه لي نائب رئيس الوزراء.. فأساس الوحدة ومنطلقها.. وأية وحدة بغير القاهرة هي دون شك محاولة لتمييع الموقف..

وفي داخل العراق بدأت الصورة تأخذ شكلا آخر عقب قيام ثورة الرابع عشر من رمضان.. فقد رافق الثورة تأسيس الحرس القومي.. كان الهدف منه المحافظة على خطط الجمهورية وتنفيذ الأعمال التي تستهدف رفع المستوى المادي والمعنوي للأمّة..

ولكنهم انحرفوا برسالة الحرس القومي انحرافا هائلا، وظهرت نياتهم السيئة.. وانتشرت الفوضى وعم الرعب والقلق في البلاد..

وعـاد الظلـم من جديد.. متوهمين أنهم وحزبهـم أصحاب حق دون غيرهم.

فأخذوا يقودون الناس إلى السـجون الرهيبة، ولم تمر سـوى سـتة أشهر فقط على ثورة ١٤ رمضان، كان الحزبيون فيها قد انقسموا على أنفسـهم وبدؤوا يطعنـون بعضهم البعض.. وفي الوقت نفسـه كانوا يحاولون الإطاحة بكل العناصر الوطنية التي تشترك في الحكم.

كان ذلـك يتردد داخـل اجتماعاتهم السرية.. حتـى أنهم كتبوا في أحد محاضر جلسات هذه الاجتماعات، أنهم يرغبون في التخلص من رئيس الجمهورية لمعارضته سياستهم.

وانتهـى شـقاقهم الـذي بدأ داخـل الجـدران.. إلى أعـمال عنف وسـب، ووصـل في نهايتـه إلى أن صعد فريق منهـم إلى الجو ليضرب بغداد بقنابله..

ولم يبق في قوس الصبر منزع. وفي خلال خمسة أيام من ١٣ تشرين الثـاني (نوفمبر) إلى ١٨ منه كنت قد اتصلت بكل الإخوة من ضباط ثـورة ١٤ تموز (يوليو) واتفقنا على نهاية المنحرفين.. وقد أحسـوا أن نهايتهم اقتربت، فحاولوا أن يقصفوا مقر رئاسة الجمهورية بالقنابل..

وقطعـوا الميـاه والكهرباء عن القـصر الجمهوري.. حتى يشـلوا حركة من بداخله.. ولكن الإرادة الحرة انتصرت..

((وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ)).

لقـد كان ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سـنة ١٩٦٣ يوماً فاصلاً في تاريخ العراق.. ففيه أسـدل السـتار على السيطرة الحزبية بعد أن كان العراق قد تخلص من السيطرة الفردية المجنونة..

ولكن كان ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) بداية لجهد كبير كان لا بدَّ أن يبـذل بأخلاص.. فالمشـكلات تعددت.. وأصبحـت التركة التي خلّفها قاسـم والحزبيون ثقيلة.. والذي حدث يوم ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) لم يكن مجرد انقلاب للإطاحة بطغمة فاسدة..

ولم يكـن في رأيـي نوعـا مـن الإصـلاح.. ولكنه لا بـدَّ أن يكون قبل كل شيء ثورة سياسـية واجتماعية واقتصادية. وكان كل فرد ممن شاركني مسؤولية الحكم يدرك ذلك بوضوح..

ومـن هـذا الإدراك لمهمتنـا بدأنـا العمـل.. ومـن خلالـه بدأت المشـكلات تتضح.. وكان لا بـدَّ للثورة أن تكون تعبـيراً حقيقيًّا عن إرادة الجماهير.. حتى تستطيع المضي في طريقها بثبات وقوة..

فلا يمكن لحكم مهما كانت قوته أن يعيش بمعزل عن الجماهير.. ودون أن يحقق إرادتهـا الحقيقية.. وكانت الجماهير من خلال تجربتها القاسية قد أدركت عدة حقائق مهمة:

١- إن الحزبيـة بكل صورها أثبتت عدم مقدرتها على إحداث الثورة الاجتماعية.

٢- إن الاشـتراكية هـي الطريق السـليم الذي لا بـدَّ من بنائه لتحقيق مجتمع الكفاية والعدل.

٣- إن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق في ظل مجتمع تتحكم فيه رواسب الرأسمالية.

٤- إنه لا بدَّ أن يكون هناك تنظيم سياسي يضم كافة قوى الشعب العاملة.. أصحاب المصلحة الحقيقية.

وكان على الثورة أن تنطلق من هذه الحقائق الأربع لتحقق التحول.. ولتثبت قدرتها على العمل من أجل الثورة الاجتماعية.. وكانت البداية.. قيام التنظيم السياسي.. وثارت مشكلة.

هل يكون التنظيم.. تجميعا للقوى السياسية التي لعبت دورا في المراحل المختلفة في العراق؟.

وبكلمات أكثر دقة..

هل يكون تجميعاً للأحزاب السياسية داخل تنظيم واحد؟.

وجاءت المناقشات التي دارت بين مختلف القوى خلال فترة ما قبل التنظيم لتثبت فشل إمكانية قيام أي تآلف حزبي.. فالتنظيم لا يمثل مصالح فئات معينة.. وقد تلتقي هذه الفئات اليوم..

وتتنافر غدا.. ولكن التنظيم لا بدَّ أن يكون تعبيراً حقيقيًّا عن قوى الشعب العاملة.. دون أي اعتبار للمسألة الحزبية. ومن هذه الحقيقة بدأ العمل من أجل بناء تنظيم الاتحاد الاشتراكي.

لقد كانت فكرة الاتحاد الاشتراكي.. من متطلبات المرحلة الراهنة في العراق.. ثم كان علينا بعد ذلك أن نواجه التحدي الاقتصادي

الذي فرضته علينا ظروف ما قبل الثورة.

فقانون الإصلاح الزراعي الذي صدر في عام ١٩٥٨ حدّد عدد الأسر التي لا تمتلك أرضا بنحو (٧٠٠) ألف أسرة.. تتوزع عليهم الأرض.. ومع ذلك لم يتم توزيع الأراضي إلا على ١٠ ٪ من هذا العدد..

بل الأكثر من ذلك، إن بعض كبار الملاك زادت مساحة الأرض التي يملكونها عما كانت عليه قبل صدور القانون. ولم يكن أحد يحس بالمشكلة وجذورها.. فنجاح السياسة الزراعية عامة في العراق يتوقف على زيادة كفاءة الأرض ورفع مستوى معدات الزراعة وأساليب الفلاح الزراعية.. وزيادة حجم الائتمان الزراعي..

وكانت النتيجة بالأرقام:

* هبط محصول الرز من ٨٨ ألف طن سنويًا الى ٦٠ ألف طن.

* هبط محصول القطن من ٧٧٠٠ طن سنويًا الى ٥٠٠ طن رغم زيادة المساحة المزروعة.

* القوى الآلية لاستخراج المياه بقيت كما هي عليه من عام ١٩٥٨.

وكانت التركة بنفس الثقل في بقية فروع الاقتصاد.. فواردات العراق وصلت إلى ١٤٦ مليون دينار في السنة.. بينما لا يقابلها سوى ٨ ملايين فقط من الصادرات، ومعظم التجارة العراقية كانت تتجه إلى الغرب.

بينما كانت قيمة السيارات المستوردة للعراق تصل إلى ١١ مليون دينار في السنة كانت الآلات المستوردة للصناعة تبلغ قيمتها مليونين فقط. فكان لا بدَّ من تفجير ثورة اقتصادية لتحقيق التحويل الاشتراكي.. وتحقيق الكفاية والعدل لكل المواطنين.

ومن هنا.. شقت ثورة تشرين طريقها إلى المجتمع الاشتراكي يوم أعلنت القرارات الاشتراكية في شهر تموز (يوليو). استطاعت الثورة أن تضع العراق في قلب عملية التحول الاشتراكي..

بعد أن أممت جميع البنوك الخاصة والأجنبية وجميع شركات التأمين.. إلى جانب ٣٢ شركة للتجارة والصناعة.. وكان لا بدَّ أن يكون للطبقة العاملة دورها في هذه الثورة الاقتصادية..

فصدّر قانون لتوزيع ٢٥ ٪ من أرباح الشركات المؤممة على العمال والموظفين وإشراكهم في مجالس إداراتها. وهكذا.. أصبحت الثورة بجماهيرها تمتلك قطاعا عامًّا، يمارس دوره في توجيه الاقتصاد القومي، ليستطيع أن يحقق- كخطوة ثانية- الثورة الصناعية القادرة على مضاعفة الإنتاج..

وليستطيع العراق أن يتخلص من تحكم- البترول- في حياته الاقتصادية باعتباره المورد الأساسي حتى الآن.. وفي طريق الوحدة استطاعت الثورة أن تحقق أسسا معينة لقيام الوحدة..

وقد حاول البعض أن يتهم الثورة بالبطء في تحقيق الوحدة الدستورية الكاملة، إلا أنّني- وزملائي- من خلال التجارب

التـي مرت بالعـالم العربي نؤمـن إيمانا جازما أن أية وحـدة تقوم على غير الأسـس المتينة ودون إدراك موضوعي لـكل الظروف الداخلية والخارجية مقضي عليها بالفشل، ولا بدَّ أن تكون تجربة الوحدة تجربة ناجحة إلى النهاية..

ومـن هذا المنطلق كان لقـاء القاهرة- بغداد.. الذي حقق بميثاق ١٦ آيار (مايو) الكثير من الأهداف فانبثقت القيادة السياسية الموحدة التي نعتبرها أساسا لبناء وحدة سليمة..

وقـد كان لقاء القاهرة وبغداد أحد العوامـل التي أصابت القوى المعادية بالذعر.. فقد كان لقاءً صادقا وحقيقيًّا على كافة المستويات.. وأخذ اللقاء يزداد قوة وترابطا يوما بعد يوم..

وهكـذا وجدت قوى الرجعية والرأسـمالية الخطـر يهدد مواقعها الاجتماعية والاقتصادية.. التي كانت تعتبر مواقع أساسـية في تكوين المجتمع العراقي..

وفجأة أيضا.. اكتشفت القوى الاستعمارية أن زمام المبادرة أفلت من أيديها.. وأن الخط الذي رسمته ثورة العراق لنفسها أصبح يمثل تهديدا مبـاشرا لوجودها ومصالحها المادية.. والاسـتراتيجية.. لا في العراق فقط.. ولكن على مستوى الوطن العربي كله.

فالتقـت القوتان.. صفا واحدا لمواجهة التيـار الجديد الذي أخذ يتدفـق بسرعـة في شرايـين الثـورة... تحركـت الرجعية والرأسـمالية يساندهما الاستعمار... للتآمر..

حاولت هذه القوى بشكل يؤكد تضامنها.. تهريب الأموال إلى خارج العراق.. ووصل بها الجنون إلى درجة تهريب كميات كبيرة من الأسلحة إلى الحدود العراقية.. ولم يعد سرًّا أن السلطات العراقية ضبطت كميات من الذخيرة والأسلحة كانت في طريقها إلى بعض العملاء في الداخل.

وتأكد بصورة قاطعة أن هذه الأسلحة مرت عبر بلاد مجاورة للعراق.. بل بعضها اشترته هذه الدول بأموالها.. كان ذلك من أجل خلق مناخ يوفر لهذه القوى مواجهة الثورة والتآمر عليها حتى تعود عجلة الأحداث إلى الوراء ويسترد حكم التحالف الطبقي الاستعماري المستغل مواقعه..

وأخذت هذه القوى في محاولات بائسة لتمويل حركات التآمر والتخريب. وكان المخطط هو إثارة النزعات الطائفية والعنصرية لتمزيق وحدة الشعب وإثارة روح العداء والقتال بين صفوفه..

انتقلت جهود القوى الرجعية والاستعمار.. إلى شمال العراق.. إلى منطقة الأكراد.. في محاولة لخلق نوع من المشكلات تستغرق فيه الثورة.. وتبذل فيه معظم طاقاتها.. حتى يتسنى لهذه القوى أن تلعب دَورها..

ومنذ اللحظات الأولى لثورة ١٨ نوفمبر.. كان هناك إدراك ووعي كامل للقضية الكردية.. فالفترة التي تعرض

فيهـا شـمال العراق للاضطرابـات، أدّت إلى تأخر المنطقة سـواء كان اقتصاديًّا.. أو صحيًّا.. بل أدت إلى دمار يكاد يكون شـاملا للمنطقة بأسرها..

وكان عـلى الثـورة منذ أيامها الأولى أن تنظر إلى موضوع الشـمال نظرة وطنية وإنسانية.. وهذا هو ما يحدث تماما.. فبعد إيقاف إطلاق النار في شـباط (فبراير) الماضي رسـمت حكومة الثورة خطة جديدة لإعـادة الحياة الطبيعية إلى المنطقة وتدعيم نظـام الإدارة المحلية بها.. ورصدت عشرة ملايين دينار للتعمير.

والتقـت كل الأطراف حول حقيقة واحـدة أكدتها كل الظروف التـي لابسـت القضيـة الكرديـة.. وهـي إن توفير السـلام في شـمال العراق يعتمد أساسـا على حل المشـكلة حلًّا واعيًا ومدركا لضرورة الوحدة الوطنية لكل شعب العراق بأكراده وعربه..

والوقـوف بحزم اتجـاه أي نزعات عنصريـة أو انفصالية. ومضى ركب الثورة يبني في المنطقة الشمالية.. ويعطيها من اهتمامه ما لم يعطِها أي حكـم سـابق.. اكتشـفت كل القـوى المعادية أن تحقيـق الوحدة الوطنية.. من أهم الأخطار التي تواجهها..

وخـلال الأشـهر الأخيرة حاولـت القوى الرجعية الاسـتعمارية ومعهـا دول حلف السـنتو. أن يزرعوا المشـكلات في طريق الثورة. عـن طريق إثـارة القضية الكردية.. التي سـبق أن اسـتخدمتها نفس هذه القـوى لإبعاد الجماهير العراقية عن صراعها الحقيقي مع القوى

المعادية سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي..

وتحويل طاقاتها إلى صراع عنصري وطائفي.. وبدأت الخطة.. ركيزتها الأولى بعض الأكراد.. وتقدمت دول أعضاء في حلف السنتو تبذل كل جهودها لتدعيم هؤلاء.. وتضع كل إمكاناتها المادية في خدمتهم..

ورغم كل هذه الجهود.. فقد بقيت منطقة الأكراد هادئة إلا من بعض الاستفزازات المسلحة. حتى اتجاه هذه الاستفزازات- التي تكاد تكون فردية- كان موقف الحكومة والقيادات الكردية الواعية..

موقفا مدركا لظروف المعركة التي يخوضها العراق في الوقت الحاضر. هكذا مضت الثورة في طريقها تحقق كل أمنيات الجماهير العربية.. وتعيد للعراق وجهه المشرق، وستمضي الثورة في طريقها بكل قوتها لتحقيق المزيد من الانتصارات رغم كل ما يحاك حولها من مؤامرات.. ورغم كل ما يدبره لها الأعداء..

و.. هكذا تنتهي ذكريات البطل الذي كان علما من أعلام القومية في الوطن العربي..

تنتهي ذكريات واحد ممن أرسوا أسس النضال الوطني مضحيا بحياته ثلاث مرات ليقود شعبه إلى النصر..

لقد كانت المرة الأخيرة التي أملى عليَّ فيها الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف ذكرياته في منتصف عام ١٩٦٥.

أما ما حدث منذ منتصف عام ١٩٦٥ إلى يوم استشهاده في نيسان (أبريـل) الماضي.. فقد كنا عـلى موعد لكتابته بعد عودته من البصرة، ولكن القدر كان أسبق.. القدر الذي اختطف بطل الثورات الثلاث..

الفصل الأخير

- زيارة المشير الركن عبد السلام محمد عارف للواء البصرة.
- كيف وقعت الفاجعة!.
- انتخاب عبد الرحمن محمد عارف.. رئيسا للجمهورية.

غـادر السـيد رئيـس الجمهورية المشـير الركن عبد السـلام محمد عارف صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٦٦ في زيارة تفقدية للواء البصرة تستغرق ثلاثة أيام.

وقـد قام السـيد الرئيس عبد السـلام محمد عـارف حال وصوله للـواء البصرة بزيارة القطعات العسـكرية المرابطة في معسـكر المعقل والشـعيبة، ثـم وضع حجر الأسـاس لمسـجد الشـهيد العقيد جلال أحمد، وبإرسـاء حجر الأسـاس لمشروع معمل الأسـمدة الكيمياوية ولبناية مدرسة متوسطة في قضاء أبي الخصيب.

ثـم قام في المسـاء بافتتـاح معرض فنـي أقامته مديريـة تربية لواء البـصرة. وفي صبـاح يـوم ١٣- ٤- ١٩٦٦ توجـه السـيد رئيـس الجمهورية عبد السـلام محمد عـارف والوفد المرافق لسـيادته بزيارة تفقدية لقضاء القرنة ونواحيه وقراه.

وقـد اسـتقبلته جماهير العـمال والفلاحـين من أبناء الشـعب أحسـن اسـتقبال، وألقـى كلمـة فيهم وعـاد في المسـاء إلى قضاء القرنـة، حيـث تناول طعـام الغذاء، ثم شـاهد فعاليـات لبعض مـدارس القضاء على ملعـب الإدارة المحلية، وألقـى فيهم كلمة كانت كلمة الوداع.

ثم توجه لطائرته في حوالي السـاعة السابعة إلا عشر دقائق حيث غادرها متوجها للبصرة..

كيف وقعت الفاجعة؟

جاء في تقرير أورده مندوب وكالة الأنباء العراقية الذي كان يرافق المغفور له السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبد السلام محمد عارف في زيارته للواء البصرة، أن الطائرة التي كانت تقل الراحل العظيم ومرافقيه الشهداء قد عثر عليها في الساعة الخامسة والدقيقة العشرين من صباح يوم ١٤ - ٤ - ١٩٦٦ في منطقة قريبة من قرية النشوة التي تقع على شط العرب، أي بعد فقدان الطائرة بحوالي عشر ساعات.

في الساعة السابعة إلا عشر دقائق من مساء الأربعاء الموافق ١٣ - ٤ - ١٩٦٦ غادرت أرض ملعب الإدارة المحلية في القرنة ثلاث طائرات هليوكوبتر أقلت إحداها الرئيس الراحل ورفاقه.

وكانت الطائرة الثانية تقل الوفد الصحفي المرافق له ونائب رئيس التشريفات ووكيل آمر الموقع ومتصرف الناصرية وبعض الضباط. بينما كانت الطائرة الثالثة تقل مندوبي ومصوري التلفزيون والسينما والمسرح ووكالة الأنباء العراقية وبعض المرافقين.

وكان الرئيس قد حضر في القرنة احتفالا جماهيريًّا ضخما أقيم لتكريم سيادته، ألقى فيه خطابا، وما زالت كلماته الأخيرة ترن في آذان أبناء الشعب وهو يدعو إلى الوحدة الوطنية لتكون انطلاقا للوحدة القومية ويدعو المواطنين إلى التآخي..

ومن بين كلماته الأخيرة:

- «**لقد نذر نفسه لخدمة الشعب وكل ما يريده هو أن ترفرف السعادة في كل بقعة من هذا الوطن وأن يعم الأمن والاستقرار أجزاءه المختلفة لتنطلق بعد ذلك إلى العمل والبناء**».

بعد ١٠ دقائق

وبعد عشر دقائق من إقلاع الطائرات الثلاث وما زال المودعون في ساحة الملعب عادت الطائرة الثالثة تحلق فوق سماء الملعب كأنها ريشة في مهب الريح. كان الظلام منتشرا والريح شديدة والغبار كثيفًا.

وهبطت الطائرة بصعوبة بالغة ليروي ركابها الهلع الذي انتابهم خلال الدقائق القليلة التي عاشوها في الجو حين كانت الطائرة تعلو وتنخفض في عاصفة قوية حدثت بصورة مفاجئة.

وبعد دقائق أخرى عادت الطائرة الثانية التي تقل الوفد الصحفي وهبطت في الملعب بصعوبة أكبر، وإذا بربانها يخرج من الطائرة وهو يصرخ بأعلى صوته أنه فقد الاتصال بالطائرة الأولى التي تقل السيد رئيس الجمهورية.

وما حدث في الملعب بعد ذلك لا يوصف، فقد عقدت الدهشة ألسنة الجميع وخيم القلق عليهم لا يدرون ما يفعلون. واتصل الطيار تلفونيًّا بمطار البصرة يستفسر عن أخبار طائرة السيد الرئيس، لكن المطار لم يكن لديه أي خبر عن الموضوع.

آخر استغاثة

ويقول الطيار إن آخر اتصال بينه وبين الرئيس كان سماع استغاثة رددها ربان الطائرة النقيب الطيار خالد محمود نوري وهو يقول إنه لا يرى أي شيء على الإطلاق. وإن عاصفة ترابية مفاجئة قد هبّت بعد دقائق من الطيران.

مدى الرؤيا.. صفر

وكانت طائرة الرئيس الراحل قد أقلعت قبل الطائرتين الأخريين، مما جعلها في وسط العاصفة، حيث كان مدى الرؤيا صفرا، بينما عادت الطائرتان الثانية والثالثة قبل أن تدخلا قلب العاصفة.

وكان المفروض أن تقلع الطائرة الثالثة التي كانت تقل المصورين قبل طائرة السيد الرئيس. وكان من الممكن أن تدخل في قلب العاصفة، لكن ما حدث كان العكس.

وبين هرج الناس ومرجهم طلب أحد الطيارين أن تشعل النيران في أرجاء الملعب وبقربه وتشعل أضوية السيارات كافة لعل طائرة السيد الرئيس تهتدي إلى الملعب وتستطيع أن تهبط.

وقد تم ذلك على الفور وأصبح الملعب شعلة مضيئة، وكان يمكن للطائرة لو كانت فوق الملعب أن تراها رغم كثافة الغبار.

وزير الثقافة والإرشاد تخلّف في البصرة

وبقي الاتصال بين القرنة ومطار البصرة مستمرًّا، وعلى الفور

تـم إبلاغ الدكتور محمد نـاصر وزير الثقافة والإرشـاد بالأمر، وكان الدكتور محمد ناصر وهو ضمن الوفد الوزاري المرافق للسيد الرئيس قـد تخلف عن مرافقتـه في زيارته للقرنـة، إذ قام بزيارة تفقدية لسـير الأعمال في تشييد محطة تلفزيون البصرة.

وقام الطيار بمحاولة جريئة وجديدة للاتصال بالطائرة المفقودة، فحلـق مـرة أخـرى في ذلـك الجـو، ولكـن المحاولة كانـت من دون جدوى.

وفي مطار البصرة، وعلى الفور أجرى السيد وزير الثقافة والإرشاد اتصالات بالمسؤولين في اللواء ومدير الموانئ العام. كما اتصل بالسيد عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء آنذاك لإطلاعه على فقدان الاتصال بالطائرة.

واتخذت في البصرة إجراءات فورية واسعة، فقد انتشرت سيارات الجيش والشرطة والأمن في مختلف أنحاء اللواء وفي كل مكان يمكن لطائرة الهليوكوبتر أن تهبط فيه، وخرجت الزوارق البخارية في شـط العرب.

وانتشر رجال العشائر في مناطق الأهوار يحملون الأضوية ويوقدون النيران عسى أن تهتدي الطائرة المفقودة وتسترشـد بهذه النيران، كذلك قـام وزيـر الثقافة والإرشـاد ومديـر الموانئ العـام وآمر الموقـع وبعض الضباط بعقد اجتماعات استمرت حتى فجر يوم ١٤- ٤- ١٩٦٦.

وجـرى الاتصـال بمخافـر الحـدود وأبلـغ القنصـل العراقي في

خرمشهر، وقيل له إن طائرة هليوكوبتر تحمل شخصيات عراقية مهمة قد ضلت طريقها وسط عاصفة ترابية، وربما تكون قد دخلت إيران.

استمرار البحث حتى الصباح

بعد مضي ساعة ونصف الساعة، ولما لم يستطع أحد الاتصال بالطائرة والتعرف على مكانها فقد الجميع الأمل في أن تكون ما زالت في الجو، غير أنه بقي هناك أمل في أن تكون الطائرة قد هبطت اضطراريًّا في مكان ما.

وعلى هذا الأساس استمر البحث واستمرت النيران موقدة في أنحاء اللواء حتى الصباح. وفي حدائق فندق شط العرب، حيث كان من المقرر أن تقيم متصرفية لواء البصرة حفلة عشاء تكريما للسيد رئيس الجمهورية احتشد رؤساء الدوائر ووجوه المدينة.

غير أن معظمهم لم يكن قد عرف بما حدث، كان الجميع ينتظرون وصول السيد الرئيس وهم يتساءلون عن سبب عدم وصوله..

١٠ طائرات تبحث عن الطائرة

وفي الساعة الخامسة صباحا ومع أول خيط من الفجر قامت عشر طائرات بالتحليق في الجو في محاولة للعثور على طائرة السيد الرئيس.

وفي الساعة الخامسة والدقيقة العشرين صباحا، وفي منطقة قريبة من قرية- النشوة- في الجهة الشرقية من شط العرب عثرت إحدى

الطائـرات على حطام طائرة هليوكوبتر، فعـادت على الفور إلى مطار البصرة.

حيث أحيط وزير الثقافة والإرشـاد والمسـؤولون علما، فأرسلوا فـورا مفرزة من الشرطة إلى مكان الطائـرة، وطار آمر القاعدة الجوية في البصرة بطائرة هليوكوبتر إلى مكان الحادث، في حين أحيط السـيد عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء في مكتبه حتى الصباح علما بذلك.

العثور على الطائرة المحطمة

وفي مـكان الحـادث وجدت الطائـرة محطمة تماما وكانت جثث الشـهداء محروقـة، ولم يكن بالإمكان التعرف عـلى معظمهم، غير أن جثة السيد الرئيس عبد السلام محمد عارف كانت واضحة المعالم.

وكانـت سـاعات الشـهداء تشـير إلى السـاعة السـابعة والدقيقة العـاشرة، وهو وقت استشـهادهم، أي بعد طيرانهـم بعشرين دقيقة بالضبط.

وتشير الدلائل الأولى إلى أن الطائرة قد انفجرت بعد أن ارتطمت بالأرض، ولم تعرف تفاصيل دقيقة عن الموضوع.

وكان مع السيد الرئيس عبد السلام محمد عارف في الطائرة عشرة من الذين رافقوا سيادته، وقد استشهدوا جميعا وهم:

السيد عبد اللطيف الدراجي: وزير الداخلية.

السيد مصطفى عبد الله: وزير الصناعة.

العميد زاهد محمد صالح: المرافق الأقدم للسيد رئيس الجمهورية.

السيد عبد الله مجيد: السكرتير العام لرئاسة الجمهورية.

السيد عبد الهادي الحافظ: وكيل وزارة الصناعة.

السيد جهاد أحمد فخري: المدير العام لمصلحة الكهرباء الوطنية.

السيد محمد الحياني: متصرف لواء البصرة.

النقيب الطيّار محمد نوري.

نائب الضابط كريم حميد.

العريف محمد كريم.

وفي حين كانت البصرة تعيش أجمل أعيادها بلقاء السيد الرئيس فجعت بأعظم مأساة في تاريخها، ولم يكن أبناء البصرة قد عرفوا بالنبأ، فقد خرجوا في صباح يوم ١٤ - ٤ - ١٩٦٦ حسب المنهاج المقرر للمشاركة في استقبال السيد الرئيس في أثناء زيارته.

وعندما علموا بالحادث المؤلم كانت الصدمة قوية وأثرت تأثيرا بالغا، فانقلبت الفرحة إلى حزن شمل أنحاء المدينة بل شمل العراق من أقصاه إلى أقصاه والأمة العربية بأجمعها.

انتخاب.. عارف.. رئيسا للجمهورية

وبعد أن اهتز العراق من أقصاه إلى أقصاه بمصاب جلل.. وبعد أن بسط الظلام سدوله على وادي الرافدين.. وبعد أن غمر الحزن

والألم والأسى قلوب العراقيين والعرب وكل الطيبين الخيرين في العالم.

بعد هذا كله كانت رحمة البارئ عز وجل أكبر وأعظم.. حيث قيَّض الرجل الذي استطاع أن يملأ الفراغ الكبير الذي تركه الراحل العظيم عبد السلام محمد عارف.. وبعد أن أعلن عن انتخاب عبد الرحمن محمد عارف رئيسا للجمهورية العراقية..

وجه كلمة لأبناء الشعب في العراق والأمة العربية المجيدة من إذاعة وتلفزيون بغداد في الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٠ نيسان ١٩٦٦..

مقدمة تعرفية في السيرة الذاتية

عبد السلام محمد عارف الجميلي

(٢١ مـارس، ١٩٢١ - ١٣ أبريـل، ١٩٦٦)، هـو الرئيـس الأول للجمهوريـة العراقيـة وثاني حاكم أو رئيـس دولة أثناء النظام الجمهوري سـبقه الفريق نجيب الربيعي رئيس مجلس السـيادة، ولد في ٢١ مـارس، ١٩٢١ في مدينة بغداد، فترة الحكم ١٩٦٣-١٩٦٦. لعب دورا هاماً في السياسة العراقية والعربية في ظروف دولية معقدة إبان الحرب الباردة بين المعسـكرين الغربي والشرقي وشـغل منصب أول رئيـس للجمهوريـة العراقية من ٨ فبرايـر ١٩٦٣ إلى ١٤ أبريل ١٩٦٦ بعـد ان كان هذا المنصب معلقا منـذ حركة ١٤ يوليو ١٩٥٨ التي أطاحت بالنظام الملكي.

أصبـح بعد نجاح الحركة الرجـل الثاني في الدولة بعد العميد عبد الكريـم قاسـم رئيس الوزراء وشريكة في الثـورة فتولى منصبي نائب رئيـس الوزراء ووزيـر الداخلية وهـو برتبة عقيـد أركان حرب، ثم حصل خلاف بينه وبين رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم جعله يعفي عـارف من مناصبـه، وابعد بتعينه سـفيراً للعـراق في ألمانيـا الغربية، وبعدها لفقت له تهمة محاولة قلب نظام الحكم، فحكم عليه بالإعدام ثم خفف إلى السـجن المؤبد ثم الإقامة الجبرية لعدم كفاية الأدلة. في حركة ٨ فبراير / شـباط ١٩٦٣ التي خطط لها ونفذها حزب البعث العـربي الاشـتراكي بالتعـاون مع التيـار القومي وشـخصيات مدنية وعسـكرية مسـتقلة، اختير رئيسـاً للجمهورية برتبة مشير(مهيب)، فكان له ان أصبح أول رئيس للجمهورية العراقية.

نشأة وحياته السياسية

ولد الرئيس عارف في ٢١ مايو ١٩٢١ في بغداد من عائلة مرموقة تعمل في تجارة الاقمشة متحدرة من منطقة خان ضاري احدى ضواحي الفلوجة وكان جده شيخ عشيرة الجميلة من قبيلة الدليم وخاله الشيخ ضاري أحد قادة ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى. نشأ في بغداد وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية عام ١٩٣٤.

التحق بالكلية العسكرية التي تخرج فيها عام ١٩٤١ برتبة ملازم ثان. من ثوار ثورة مايو/ مايس ١٩٤١ ضد الحكومه الخاضعة للاحتلال البريطاني ابان الحرب العالمية الثانية بقيادة رشيد عالي الكيلاني باشا رئيس الوزراء والعقداء الاربعة الملقبين بـ «المربع الذهبي» العقيد صلاح الدين الصباغ والعقيد فهمي سعيد والعقيد كامل الشبيبي والعقيد محمود سليمان، نقل إلى البصرة بعد الاطاحة بحكومة الثورة حتى عام ١٩٤٤. نقل إلى الناصرية عام ١٩٤٤. اختير عام ١٩٤٦ مدربا في الكلية العسكرية التي لم يكن يقبل فيها إلا الأوائل ومن المعروفين بروح القيادة والمهنية العالية. نقل إلى كركوك عام ١٩٤٨ ومنها سافر إلى فلسطين. اشترك في حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨. عند عودته من حرب فلسطين أصبح عضواً في القيادة العامة للقوات المسلحة عندما أصبح الفريق نور الدين محمود رئيسا لأركان الجيش. نقل عام ١٩٥٠ إلى دائرة التدريب والمناورات.

عام ١٩٥١، التحق بدورة القطعات العسكرية البريطانية في

دسلدورف بألمانيا الغربية للتدريب وبقي فيها بصفة ضابط ارتباط ومعلم اقدم للضباط المتدربين العراقيين، حتى عام ١٩٥٦. عند عودته من ألمانيا نقل إلى اللواء التاسع عشر عام ١٩٥٦. بُلّغ بالسفر إلى المفرق ليكون على اهبة الاستعداد لإسناد القطعات الاردنيه إمام التهديدات الإسرائيلية التي كانت سبباً في الاطاحة بالنظام الملكي عام ١٩٥٨. انظم إلى «تنظيم الضباط الوطنيين» عام ١٩٥٨ ودعا إلى خليته الزعيم العميد عبد الكريم قاسم، وكان عارف من المساهمين الفاعلين في التحضير والقيام بحركة ١٤ يوليو ١٩٥٨ حيث أوكلت إليه تنفيذ ثلاثة عمليات صبيحة الحركة ادت إلى سقوط النظام الملكي.

شخصيته

كان يفضل صفة الثائر على صفة الرئيس. فهو يتسم بشخصية كاريزمية مؤثرة في الاحداث وذو عاطفة وانفعال اثرتا على الكثير من مواقفه الوطنية والقومية وقد اسيء بسبب ذلك فهم مقاصده. تطورت شخصيته القيادية على مرحلتين:

المرحلة الاولى بعد حركة ١٩٥٨ حيث عرفت سياسته بالعفوية والبساطة والثورية شبيه إلى حد كبير بشخصية القائد الليبي معمر القذافي في بداية ثورة الفاتح وكثيرا ما كان يحي صديق قديم او شراء بعض متطلبات العائلة عند عودته من عمله وهو في سيارته الرسمية، او القاء الخطب المرتجلة التي اثارت الكثير من الجدل

والتـي كان يتفاخـر فيها بـدوره الرئيسي في تنفيذ حركـة ١٤ يوليو / تمـوز. فجراء قيامة بصفحة التنفيـذ المباشر لحركة يوليو تموز ١٩٥٨، تغـيرت شـخصيته كثيرا وحاول محاكاة شـخصيات القـادة والحكام الثوريـين وكانـت صيحـة العـصر في مرحلـة نشـأته في الاربعينيات والخمسـينيات، هي لغة الخطابة الحماسـية لذلـك النموذج من القادة من امثال كاسـترو وسـتالين وموسـوليني وكذلك هتلـر علاوة على القادة العرب المؤثرون الذين في بداياتهم سلكوا نفس الخطى في تبني لفة الحماسة في الخطابات المرتجلة كالملك غازي الذي عرف بخطاباته الرنانـة التـي كان يلقيهـا مـن محطة اذاعـة خاصة به في قـصر الزهور وجمال عبد الناصر والحبيب برقيبة وشـكري القوتلي وحسني الزعيم وقادة ثورة الجزائر كأحمد بن بيلا.

اصيـب عـارف خـلال الشـهر الاول بعـد نجاحـه بقلـب نظـام الحكـم الملكي بحالة من الخيلاء بسـبب دوره في الحركـة جعلته ولو مؤقتـا ينفـرد باللقـاءات الصحفية والقـاء الخطب الحماسـية، كما ان هواجسـه من كتلة عبد الكريم قاسم بدأت تتعاظم حول بداية قاسم لابعاد الشـخصيات الوطنية والقومية وباقـي اعضاء تنظيم الضباط الوطنيـين وتقربه من التيارات الشـيوعية والماركسـية، وهكذا بدات تتفاقـم الهواجس الاخرى جراء التناقض الايديولوجي بين الكتلتين في الحكـم، ذلك الـصراع الذي انتهى باقصاء عـارف وكتلته القومية واحالتـه إلى المحكمـة الخاصة وسـجنه، والتي خلالهـا واجه حملات التشهير والنقد اللاذع على اسلوبه في بداية الثورة وخطبه الارتجالية،

الامر الذي ادى به إلى تغير ملحوظ في شخصيته التي تركت الاحداث والهواجس بصماتها عليها فاصبح أكثر حذرا واقل ظهورا امام الرأي العام واكثر هدوءً وعمقا في الاحاديث السياسية والفكرية.

المرحلة الثانية بعد توليه الرئاسه عام ١٩٦٣ حيث عرف بشخصية متوازنة ومؤثرة، حيث اصبح أكثر عمقا وتفهما للسياسة المحلية والدولية، وبدأ يطرح مبادئه وايديولوجياته عن الاشتراكية الاسلامية، وكذلك عن عدم امكانية تحقيق الوحدة العربية مالم تتحقق الوحدة الوطنية لكل قطر عربي.

انتمى للتيار العربي المستقل منذ بداياته في الجيش متأثرا بالشعارات العربية لثورة ايار/ مايس ١٩٤١ وامن بالوحدة العربية التي تستند على الوحدة الوطنية. كماعرف بالتدين وبالنزاهة والتقشف على الرغم من تحدره من عائلة ميسورة.

وقد عرف الرئيس عارف بمهنيته العسكرية العالية وعرف ايضا اعجابه بالملك غازي والعقيد صلاح الدين الصباغ أحد قادة ثورة ايار/ مايس ١٩٤١.

واعجبه كثيرا التكتيك السياسي لاول انقلاب عسكري في الوطن العربي والذي قام به الفريق بكر صدقي باشا ضد رئاسة الوزراء العراقية عام ١٩٣٦ مع الابقاء على الولاء للملك غازي. وكثيرا ما كان مع صديقه الرئيس المصري جمال عبد الناصر يدخل في نقاشات عسكريه وسياسيه حول انقلاب بكرصدقي وثورة ايار /

مايس ١٩٤١ ابان الحرب العالمية الثانية ومدى تاثر الضباط المصريين الاحرار بتكتيك انقلاب بكر صدقي والشعارات العربية لثورة مايو ٧ ايار ١٩٤١ بقيادة رشيد عالي الكيلاني باشا، عند تنفيذ ثورة يوليو/ تموز ١٩٥٢ وبالكيفية التي ابقت على النظام الملكي لمصر وتعيين وصي على العرش بداية الثورة كما كان معمولا به في العراق بعد وفاة الملك غازي الاول عام ١٩٣٩.

ملحق الصور

صورة نادرة للرئيس عبد السلام عارف بالزي العسكري

الرئيس عبد السلام عارف

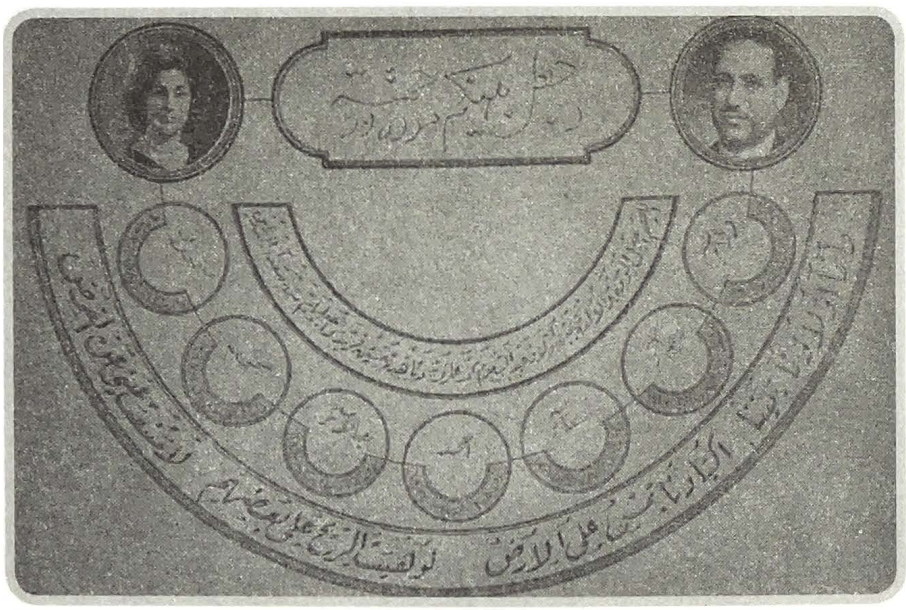

صورة تحملُ كل أسماء عائلة الرئيس عارف
وهي صورة نادرة بتواريخ الولادات حسب الترتيب

من اليمين الرئيس عارف مع زوجته السيدة ناهدة حسين فريد الريس
ومن ثم الأبناء تباعا وفاء - رجاء - احمد - محمود - جلاء - محمد- سناء

صورة تجمع الرئيس عبد السلام عارف مع مجموعة من الضباط من بينهم
الرئيس أحمد حسن البكر

جمال عبد الناصر مع الرئيس عبد السلام عارف في القاهرة في حفل اليوم الوطني

الملا مصطفى البرزاني مع الرئيس عبد السلام عارف

الرئيس عبد السلام عارف في عيد الجيش

في حفل ضباط الجيش مع الفنانة أم كلثوم

الرئيس عبد السلام عارف يحضر الصلاة في أحد مساجد بغداد
مع مجموعة من الضباط وشخصيات الدولة

تظاهرات نسوية بعد حادثة سقوط الطائرة

الرئيس عبد السلام عارف
وهو يستقل طائرة هليكوبتر بعد مغادرته البصرة

الفهرس

الاهداء ٥
مقدمة ٧
الفصل الأول ١١
الفصل الثاني ٢٧
الفصل الثالث ٤٣
الفصل الرابع ٥٩
الفصل الخامس ٧١
الفصل السادس ٨٣
الفصل السابع ٩٥
الفصل الأخير ١٠٩
مقدمة تعرفية في السيرة الذاتية ١٢١
ملحق الصور ١٢٩